دکتور ستوکهولم

عنـوان الكتـاب: دكتـور سـتوكهولم
الموضـوع: روايـة
التـأليـف: أحمـد عـزت
إخـراج فنـي: عمـرو سـالم سـواح
تصـميم الغـلاف: بـلال محمـد
رقـم الإيـداع: 2019/ 26901
التـرقيم الـدولي: 978-977-6639-77-5
الناشـر: دار تويتة للنشر والتوزيع
www.facebook.com/Tweetforpublish
tweetpublishing2017@gmail.com
٧ش محمد أبوالعطا- محطة العريش-فيصل- الجيزة
رئيس مجلس الإدارة: م/ أحمد عبد العزيز
المدير العام: أ/ رشا العمري
01017799799
01225762066

تويتة
Tweeta
للنشر و التوزيع

#غرّد_للعالم

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة

دكتور ستوكهولم

رواية

أحمد عزت

وهقولك ..

إني هكون على باب الجنة ..

مستنيكي

أصل الجنة بكل نعيمها ..

مش ممكن نعمر غير ..

بيكي

(١)

يقف أمام المرآة .. يتأمل ملامحه التي اختلفت كثيرًا منذ وفاة والدته، حاول اضفاء بعض الحيوية على شكله بتهذيب ذقنه .. ولكن لم يتغير الكثير.

ملامحه الباهتة كما لوحة قديمة عفا عليها الزمن ... ابتسامته المصطنعة التي لم يصدقها هو.. فكيف للناس أن يصدقوها !

وقف " زياد " ينظر إلى بدلته السوداء بتمعن شديد، يتذكر كم كان ينتظر أن يرتديها يوم زفافه، ولكنه اليوم يرتديها لحضور حفل زفاف " ليلى " .

كان يرى ذكرياتهما سويًا تتحرك أمام عينيه كما لو أنها حقيقة، كيف قابلها أول مرة عندما كانت أحدث عضو ينضم لأصدقائه ...

كانت هادئة، وبالرغم من هدوئها إلا أنَّ شخصيتها القوية تبدو من نظراتها الواثقة .

حاول جاهدًا تذكُّر ما دار بينهما من حوار .. إلا إنَّ ذاكرته خانته ... لكنه كان يدرك جيدًا أنه وإن لم يكن أحبها منذ المرة الأولى، فبالتأكيد كانت قد استطاعت أن تشغل ذلك الحيز من تفكيره .

يتذكر كيف شاركته حياته بكل تفاصيلها الصغيرة، ويحاول مقارنة أيامهما سويًا بتلك اللحظة، لم يكن يرغب في تصديق أنها ستكون لغيره، ستبتسم ببرائتها المعهودة لشخص آخر، ستحب وتغار وتداعب وتكون أُمًا لأطفال شخص آخر .

ولكنه وإن رفض تصديق تلك الفكرة، فهي الواقع في النهاية .

أخبرونا في الروايات أن الرجل هو الأكثر قابلية للخيانة، تجري في دمه وكأنها جزء من جيناته التي ولد بها، بينما الأُنثى هي الطرف المُحب بصدق ...

ولكن الروايات أخطأت .. فهو لم يخُنها، وهي لم تحبه بصدق ..، أو لنقُل أنَّها لم تحبه بقدر ما أحبَّها .

أخبرونا عن مدى عذاب الأُنثى بعد الفراق، ولم يخبرونا عن إحساس الرجل، لم يخبرونا إن كان قد انتصر أو انكسر .. أهملوا تفاصيله واهتموا بدموعها .. أهملوا شخصًا يسهر مُنفردًا متخليًا عن قوته وضحكاته العالية اللاتي يظهر بهِنَّ أمام الناس لينفرد بنفسه ليلًا ليبكي . شخص يدعو الله بإلحاح طفل صغير يبكي شوقًا لأمه .

إن كانت الأنثى هي الطرف الأضعف في المعادلة، فالرجل هو الطرف الأضعف بدونها .

الرجل إن أحبَّ بصدق، صارت حبيبته هي مصدر قوته وسعادته وحياته، سيراها وطنًا، بيتًا، ثورته التي قد يموت في سبيلها، وملجأه الذي لن يهرب لغيره .

أما إن رحلت، فلن يبدل مكانها بنات حواء جميعًا وإن اجتمعن .

- ها يا زياد .. جهزت ولا لسه ؟

انتشله صوت أبيه من غفلته، فقام مسرعًا ليكمل ارتداء باقي ملابسه :

- اه يا بابا خلاص ..

قالها وهو يُعدِّل من وضع كرافتته السوداء .

أنهى زياد إرتداء ملابسه وخرج لأبيه الذي بدت عليه علامات الاشفاق على ابنه أو الخوف عليه من قراره .

- إنت متأكد يابني إنك عايز تروح ؟
- اه يا بابا، لو مش قادر تيجي خليك هنا إرتاح
- مش عشاني، أنا مش عايزك إنت تتحط في موقف يضايقك .
- بابا .. إحنا إتكلمنا في الموضوع ده قبل كده .. كلامنا فيه تاني مش هيغير حاجة
- طيب، إللي يريحك .

نزل زياد وأبوه ليستقلا السيارة دون أن ينطق أحدهما بكلمة، حاول والده كسر الصمت بصوت الراديو، ولكن حتى الأغاني لم تستطع أن تخرج زياد من شروده .. كان يحاول البحث عن إجابات لأسئلته ..

لماذا رحلت ؟ لماذا لم تبقِ كما وعدته ؟ لماذا فضَّلت غيره عليه ؟ لماذا لم تعطه فرصة ..

هل من المعقول أنَّها لم تكن تحبه منذ البداية ؟

لا، من المستحيل لأي انسان أن يتظاهر بإبداء الحب كل تلك السنوات .

ولكن إن كانت أحبت بصدق، فكيف لها أن تتزوج بغيره ؟

لو كنت بس ساعتها عارف إن دي المرة الأخيرة ،

مية مية كانت هتفرق في الوداع ..

بدأت الأغنية والتي أخذته إلى عالمها ، نعم .. كانت بالتأكيد ستُغير من مجريات اللقاء إن كان يعرف بأنه لقائهما الأخير، كان سيحتضنها بقوة، بصدق .. كان سيبكي بشدة ليهتز جسده كله مُعلنًا عن ألمه، سيبكي إلى ان تجف عيونه، كان سيخبرها كم أحبها، كان سيرجوها ألا يكون هذا لقائهما الأخير، أن تحاول معه أن يُغيّرا قدرهما .

وإن رفضت، كان سيحبسها، نعم .. سيحبسها بداخله إلى أن تفنى الأرض ومَن عليها .

كان سيطيل النظر إليها، لا يعلم إن كان لأنه سيشتاق إليها، أو لأنه يريد الحفاظ على صورتها بداخله .

كم كانت جميلة، كان جمالها مختلف ... نعم لم تكن هي الأجمل ممَّن خلق الله، ولكنه عشق ضلوعه العوجاء التي كانت سببًا في خلق هذه الأنثى .. والتي كان يعتقد أنها ملكه ...، لم يكن شعرها حريريًا، ولكن تموُّجاته التي تشبه أمواج البحر كانت تسحره، عيناها البنيتان الواسعتان اللتان كان يعشق النظر إليهما، ويعشق محاولاتها في إخفائهما . إبتسامتها التي كانت قادرة على تغيير حياته كلها إلى الأفضل، براءتها التي تفوق براءة الأطفال، وقدرتها على اخراجه من وقاره وهدوئه ليصبح طفلًا صغيرًا يلهو معها .

كانت هي المرادف الوحيد للعشق، كانت هي الحياة .

اللعنة على ذكرياتهما التي لم ترحل معها، يتساءل إن كانت هي أيضًا تتذكره، أو لا زالت تحبه مثلما كانت تفعل في الماضي .

ولكن كل تلك الأسئلة لم تعد مهمة الآن، فليلى ستتزوج، ليلى لم تكن له من البداية، أما هو .. فكان مجرد فصل في قصتها سينتهي ليبدأ غيره، فترة إنتقالية، مجرد مرحلة عابرة في حياتها قبل استقرارها في بيت زوجها الذي لطالما دعا أن يكون هو، ولكن أبواب السماء كانت قد سُدَّت أمام دعواته التي انهالت تطرق بإلحاح راجية تغيير قدره المحتوم .

علمته أمه قديمًا أن الدعاء يغير القدر، ولكن صلواته ودعواته الخاشعة لم تفلح، لم يكن يعقوبًا ولم تعد لتقر عينه بعد سنين من العذاب .

بعد نصف ساعة كانا قد وصلا إلى قاعة الأفراح، كان الهواء باردًا، ثقيلًا..

وبالرغم من كل تلك الأنوار المُضاءة، شعر زياد بالمكان مظلم من حوله، وارتسمت على وجهه تعابير شخص ذاهب لتأدية واجب العزاء .

ربَّت أباه على كتفه محاولًا التخفيف عنه ..

- إحنا لسه ما دخلناش، ممكن نمشي عادي

إلتفت زياد إلى أبيه بعد تنهيدة وابتسم دون أن يتكلم، ولكن ابتسامته كانت سببًا أقوى لأبيه لجعله أكثر قلقًا، ولكنه لم يستطع تغيير قرار زياد الذي بدأ في المشي تجاه بوابة القاعة .

كان المكان بالداخل أكثر صخبًا ودفئًا بكثير، الجميع مشغولون بالإحتفال، أما هو فكان مشغولًا بالبحث عنها بعينيه، حتى رآها ... كانت تبتسم وهي ترقص مع صديقاتها، مرتدية فستانها الأبيض الطويل، لم يكن الفستان كثير التفاصيل، بسيط كما روحها . كانت جميلة كما اعتاد أن يراها دائمًا .

أما زوجها، فكان أطول قامة منه بقليل، يبدو على عضلاته وشعره القصير أنه أحد الذين تخرَّجوا من كلية حربية .

اختفى بسرعة وسط دائرة من أصدقائه في اللحظة التي سمع فيها زياد أحد يناديه ..

- زياد ..
- مروة، ازيك ؟
- الحمد لله، إنت عامل ايه ؟

- الحمد لله .. مبروك

- الله يبارك فيك .. تعالى سلم ع الباقي، بقالنا كتير أوي ما نعرفش عنك حاجة.

لم تُعطِه مروة الفرصة للتفكير، كانت قد سحبته من يده مُتَّجهة به إلى الطاولة التي يجلس عليها أصدقاؤهما .

كانت مروة إحدى أصدقائه القدامى والتي كانت السبب في دخول ليلى إلى حياته، فهي مَن عرفتهم عليها .

عندما وصل إلى الطاولة كانت النظرات كلها تجاهه، منها مَن يتعجب مِن وجوده، وأخرى تتحسَّر على حاله، بينما البعض مسرورون لرؤيته بخير ..

نسبيًا .. انهالت عليه الأسئلة عن سبب غيابه وعدم الرد عليهم ولا التقاءه بهم، وكان يجيب بنفس الإجابات الجاهزة التي لم تكن بالمقنعة، ولكنها كانت دائمًا تفلح في انهاء الحوار، إجابات من نوعية " معلش ظروف " و " المرة الجاية إن شاء الله " .

مال عليه " شريف " الجالس بجواره قائلًا :

- تعالى عايزك .

ذهب شريف يتبعه زياد إلى خارج القاعة، نظر إليه مطوَّلًا قبل أن يحتضنه، وكان هذا هو ما يحتاجه زياد ليبدأ في البكاء، لدقائق طويلة كان زياد يبكي في صمت، لم يحاول أحدهما التحدُّث، فقط يجلسان بجانب بعضهما وشريف يُربِّت على كتفه في هدوء .

وبعد أن انتهى زياد، سأله شريف :

- ايه إللي جابك يا زياد ؟

- وحشتني ..

- إنت كده بتأذي نفسك وبتأذيها، تفتكر جوزها هيقول إيه لما يعرف إن حبيبها القديم جاي يحضر فرحها ؟

- بس .. بس أنا نفسي أشوفها

- نفسك تشوفها بفستانها ؟ نفسك تشوفها مع غيرك ؟ هترتاح كده ؟

لم يجد زياد ما يرد به، فقد كان شريف مُحقًّا، رؤيتها لم تكن ستزيده إلا ألمًا ..

- روّح يا زياد .

– قالها شريف بلهجة قاطعة لا تقبل النقاش –

- انا مش جاي أحضر .

- أمال جاي تعمل ايه ؟

- انا جاي أشوفها .. اه يا شريف أنا نفسي أشوفها بفستان الفرح، مش عايز أبقى بشوفها كده في الحلم وبس، مش عايزه يبقى مجرد خيال .. عايز أسلم عليها للمرة الأخيرة على الأقل .

- إنت بتفكر إزاي يابني إنت ؟!!

- أنا ما بفكرش يا شريف .. أنا بحبها .

قالها زياد وهو يقف مادًّا يده إلى شريف ليساعده على النهوض، ولما وجد شريف أنه لا فائدة من الحديث وقف بجانبه وإتَّجها للقاعة ..

- حمد الله ع السلامة يا صاحبي .

بهذه الكلمات أنهى شريف حديثه مع زياد قبل ان يعودا للطاولة .

مرت نصف ساعة قبل أن يعلن الDJ أن الآن هو وقت البوفيه، وعلى جميع المدعوين التوجه لهناك .

وجد زياد أنه الوقت الأفضل لهنئها، فهو لا يريد أن يكمل الفرح لآخره .. كان فقط يريد أن يراها، والآن فقد حان وقت الرحيل .

وقف زياد و بدأ في التحرك قبل أن توقفه مروة ..

- رايح فين ؟
- رايح أسلم عليهم .

تبدلت إبتسامتها بنظرة قلقة ..

- بلاش يا زياد .
- عيب . ما ينفعش أبقى هنا و ما أسلِّمش
- بس يا زياد إنت كده .....
- أنا كده بعمل الأصول يا مروة .

– قالها زياد وقد بدأ في التحرك ناحية ليلى –

كانت نبضاته تزداد مع كل خطوة يخطوها، يفكر جديًا في الرجوع بسرعة .. ولكن لا، لن يعود قبل أن يودِّعها، إن كان قد خسر فرصة الجلوس بجانبها تلك الليلة، فبالتأكيد لن يفوت فرصة للمس يداها للمرة الأخيرة، حتى وإن كان لتهنئتها بالزفاف .

إلتقت عيناهما لأول مرة تلك الليلة، أو ربما لأول مرة منذ سنين .. تبدَّلت الابتسامة على وجهها إلى نظرة لم يدرك زياد هل هي نظرة خوف، فرحة، أو أنها لم تكن سعيدة لرؤيته .

أما هو، فقد ارتسمت على وجهه ابتسامة واثقة، تقدم إليهما رافعًا رأسه ينظر لهما بثبات وفرحة مصطنعة مادًّا يده إليهما .

- الف مبروك يا عريس
- الله يبارك فيك

التفت زياد إليها، حاول جاهدًا أن يخفي نظرات الاشتياق التي كانت واضحة في عينيه ..

- مبروك يا ليلى ..

لم ترد ليلى، حاول زياد اظهار الأمور طبيعية فسأله :

- مش تقولّي اسمك ايه يا معلم ؟ تصوَّر أنا كل ده مش عارف اسمك
- مروان .. بس ما قولتليش إنت مين بقى ؟

إتَّسعت عينا ليلى من الخوف، فابتسم لها زياد قائلاً :

- زياد ، كنت زميل ليلى في الجامعة، بس بقالي فترة مسافر فمعرفتش أتعرَّف عليك
- ولا يهمك يا ريس، حمد الله ع السلامة
- طب بقولكوا ايه، ممكن ناخد صورة كلنا ؟
- طبعا .. يلا يا ليلى

وقف ثلاثتهم أمام الكاميرا وقد اتَّسعت ضحكة زياد بشدة، وقفت في المنتصف بينهما، يضمها مروان ناحيته بينما زياد يضع يديه في جيبه .

سلَّم عليهما زياد مرة أخرى مُتمنيًا لهما حياة سعيدة، داعيًا المولى في قلبه أن تكمل حياتها بجوار مروان بدون ألم كالذي ينهش في قلبه بدونها ... فبرغم ألم فقدانها، وآلام تفضيلها لغيره عليه .. ستظل هي فتاته الصغيرة المدللة،

التي لن يرضى أبدًا أن يصيبها سوء، ألَّا تفارق الضحكة شفاهها حتى وإن لم تكن تلك الإبتسامة معه .

اتجه إلى الطاولة التي يجلس عليها والده الذي كان يراقب المشهد ..

- يلا يا حاج

- يلا بينا ..

قأما مُتَّجهين ناحية الباب، مارِّين بطاولة أصدقائه الذين أعطاهم رقمه ووعدهم بالتواصل معهم من جديد .

التفت لينظر لها نظرة أخيرة، نظرة حملت الكثير من الدعوات بالسعادة..، والحب .

كعادته منذ فترة .. ظل زياد مُطلًا بوجهه خارج النافذة ، ينظر للسماء وكأنَّه يبحث عن شيء ما، لم يحاول أحدهما التحدث، وفي تلك المرة لم يُشغِّل أباه الراديو، بل ظلَّ يقود في صمت لم يقطعه سوى صوت الموتور والكلاكسات .

وبعد فترة لم تكن بالقليلة اوقف أباه السيارة أمام النيل قائلًا : إنزل .

لم يسأل عن السبب، خرج زياد خلف أبيه وتبعه إلى حيث يقف .. كانا يقفان في مكان هاديء نسبيًا، حين بدأ أباه بالكلام .. :

- عارف يا زياد أنا ليه طاوعتك في إللي حصل النهاردة ؟

لم يجب زياد، فهو لم يكن يدري ما سبب إصراره على المجيء معه .

- عشان أنا كمان بعمل زيك .

عارف، لما أمك بتوحشني بروحلها القبر وأفضل قاعد معاها بالساعات .. ده أنا ساعات بنسى نفسي وأنام هناك .

- ومكنتش بتقولّي ليه ؟ أنا كمان عايز أزورها معاك

- عشان أنا مكنتش بروحلها على أساس إني أبوك .. أنا بروحلها على أساس إنها حبيبتي، حبيبتي إللي بحبها بقالي ٤٢ سنة .

كانت هذه أول مرة يرى فيها زياد أبيه يتحدث عن والدته بتلك الطريقة، لم يكن يتخيل أن أباه قد يكون عاشقًا مثله، فهو يراه مثال للأب العظيم والرجل القوي، ولكن صورة أباه وأمه في ذهنه لم تحمل معاني للحب سوى منهما إليه ومنه إليهما، لم يفكر إن كانا يحبان بعضهما أم كان زواجهما تقليديًا، لم يشغل باله بكل تلك التفاصيل ولم تمتليء رأسه بالأسئلة قبل الآن.

- كنت بتحبها ؟

- بحبها ؟! يابني أنا ما عرفتش يعني ايه حب غير لما قابلت أمك ... مكانش في زيها في الدنيا، ولا هيبقى في أبدًا .

عارف، أمك دي كانت أحلى واحدة في الفصل، كنت بذاكر كويس عشان أبان شاطر قدامها، وكنت بتبسط أوي لما المدرس يقولُّهم يسقَّفولي وأشوف أُمك بتسقفلي في وسطهم .. كنت بحس إني راجل ملو هدومه واخد جايزة م الدولة مع إني كنت لسه عيل في إعدادي .

- إنتوا بتحبوا بعض من إعدادي ؟!

- أنا بحبها من إعدادي .. بس عمري ما فكرت أقولها، كنت بخاف تقولّي لأ، كنت خايف من أبويا إنه يعرف ويضربني .

- أمال كنت بتعمل ايه ؟

- أنا عملت كل حاجة ممكن تتخيلها، لعبت رياضة عشان لما أعرف إن حد بيحبها أروح أضربه، وياما اتضربت من عيال أكبر مني .. بس مكنش هاممني وكنت بتخانق تاني.

وكنت بحاول أبسطها على قد ما أقدر، يعني عارف .. في مرة كنت واقف قريب منها وسمعتها بتقول لصاحبتها إنها بتحب الحلاوة، فضلت بحوِّش مصروف الأسبوع عشان أنزل أجيبلها ساندوتش حلاوة وأحطهولها في شنطتها والفصل فاضي .. ضحكتها لما بتشوفه كانت بترد فيا الروح، كنت ببقى طاير م الفرحة عشان شوفتها مبسوطة .

- كل ده من غير ما تقولَّها ؟! يعني ما زهقتش مثلًا أو لقيت بنت أحلى وبتحبك ف إرتبطت ؟

- يااااه، ده كان في بنات كتير أوي، بس أنا عيني ما كانتش بتتملي غير بأمك، من إعدادي للجامعة وأنا مش عايز غيرها، ولما روحنا الجامعة وقولتلها إني عايز أقابل باباها ووافقت كان أحلى يوم في حياتي، عشان كده اصريت إن فرحنا يبقى نفس اليوم ده .

- إشمعنى أمي طيب ؟ يعني كانت تفرق ايه عن غيرها ؟

- بص يابني، أنا مش هقولك كانت زي القمر، ولا هقولك كلامها وطريقتها وكل الحاجات دي .

أنا اكتشفت بعد الجواز إن في حاجات كتير أهم ... أمك يا زياد كانت ست بميت راجل، كانت شايلة مسؤليتي أنا وإنت .. أيوة أنا كنت تاعبها زي العيال الصغيرة .

كانت بتعرف تتحملني في وقت عصبيتي، وكانت شايلاني لما الفلوس معايا قلِّت . أمك ما كانتش بتحسِّسني إن في مشكلة في البيت، كنت برجع ألاقي الضحكة مش بتفارق وشها .. كنت بشوفها يابني وأنسى همّ اليوم وقرفه .

أمك كانت بنت ناس و عرفت تربي، ربِّتك وربِّتني قبليك .. علمتني يعني ايه رجولة ويعني ايه مسؤلية ويعني ايه حب ويعني ايه غيرة .

أبوك يابني مكنش هيبقى حاجة لو ربنا ما رزقنيش بأمك .

- يعني هي الدنيا كانت وردي كده ؟ مكنش فيه مشاكل خالص بينكوا ؟

- ياما حصلت مشاكل، بس أصعب يوم كان بيعدِّي عليا هو اليوم إللي كنت بسيبها تنام فيه وهي زعلانة مني .. كنت بحس إني عملت جريمة ، أصل دي مينفعش تزعل، يعني مين عنده قلب يزعَّل النعمة إللي ربنا رزقه بيها دونًا عن كل الخلق ؟

- بس إنت ما كانش يبان عليك كل ده يا بابا .

- ولا هيبان .. ده ما كانش بيبان غير قدام أمك وبس، كنا حتى وإحنا عواجيز كده بس كنت بلاقي نفسي معاها عيل صغير .

كنت بحب فيها شقاوتها إللي ما فارقتهاش لحد ما ماتت، وحنيتها إللي كانت بتحسِّسني إنها أمي، و النظرة إللي في عينيها إللي كانت بتحسِّسني إني مالك الدنيا .. أمك يابني ما كانتش من الستات الفاضية إللي لازم عشان تتبسط تجيبلها حاجة، أمك كانت بتتبسط لو أنا وهي نزلنا اتمشينا في الشارع بس، كنا مكفِّيين بعض، وده إللي خلانا نكمل سوا .

- بتوحشك أوي كده لما بتفتكرها ؟

- أنا ما بنساهاش أصلًا ..

- الله يرحمك يا أمي، فينك تسمعي الكلام ده ؟

- أمك لو كانت هنا كانت هتقولك نفس إللي هقولهولك ده ..

إسمع يابني، النظرة إللي شوفتها في عينك النهاردة وإنت بتسلِّم عليها كانت نفس النظرة إللي ببص بيها لأمك .

إنت بتحبها وأنا متأكد من ده، بس هي إتجوزت يا زياد خلاص وما بقتش ليك .

- ولا أنا ليها يا حاج، موضوعها خلاص إتقفل .

- لا ما إتقفلش، وإنت ليها وهتفضل ليها .

ما تضحكش على نفسك يابني، إنت عايش عشانها، إنت على قد ما اتوجعت لما شوفتها، على قد ما فرحت إنك شوفتها كويسة ومبسوطة .

- يعني أعمل ايه يا بابا ؟ أروح أخطفها من جوزها ولا أبعت حد يوقَّع بينهم ؟

- إعمل إللي جواك،

بتحبها ؟ إفضل حبها ..

لكن إوعى تفكَّر تدِي مكانها لحد تاني، أنا ما إتعودتش أشوفك كذاب ولا خاين .

ولو إنت فكرت ترتبط أو تتجوز هتبقى كده، لإنك مهما حاولت عمر إللي جاية ما هتاخد حتى ربع مكانها جواك .. هتفضل تفكر وتقارن وتفتكر لحد ما تتجنن .

- يعني أفضل كده يا بابا ؟ عاجبك حالي كده ؟ عاجبك الناس وهم بيبصولي كإني واحد صعبان عليهم حالته ؟

- ومين قال إنك كده ؟ وبعدين فيها ايه لو بتحبها ؟ حبها، وإدعي ربنا يسعدها، ويرزقك إنت كمان الفرحة .. صدَّقني كل حاجة هتيجي في وقتها .

ولو ربنا كاتبلك الخير فيها هتجيلك حتى بعد ما اتجوزت .

أمك يابني إتخطبت قبل ما أنا أخطبها، وشوف ربنا كان كاتبهالي في الآخر، ولو كاتبلك تتجوز غيرها هيرزقك حبها والراحة معاها وقبل ده هيرزق قلبك النسيان .

- ربنا يقدم إللي فيه الخير يا حاج .
- ربنا يفرحك يابني .
- آمين يا رب
- يلا بينا عشان الوقت إتأخر ..

قالها والده وهو يأخذ بيد ابنه مُتَّجهين للسيارة، ابتسم زياد لأول مرة من داخله بعد أن أعطاه والده دفعة من الأمل حتى وإن كان ضعيفًا .

ولكنه كان يحتاج إلى بعض الأمل للبقاء على قيد الحياة .

(٢)

٢٠٠٧/٢/٥

- ألو ..
- إنتي لسه نايمة !! الساعة ٣ يا هانم
- مش قادرة أنزل خالص والله يا مروة
- يا سلام؟! ليلى ما تهزَّريش أنا قايلة لماما إني نازلة معاكي
- طيب إديني لحد ٥ كده أكون قمت وفوقت و ..
- الساعة ٥ تكوني عندي .. يلا باي يا حبيبتي

أغلقت مروة الخط دون أن تعطيها الفرصة للرد . لم تكن ليلى مُرحِّبة بالفكرة، لم تكن تريد النزول من بيتها أساسًا، فهي بالكاد تستطيع التعامل مع أصدقائها الذين يعدون على أصابع اليد الواحدة، فكيف لها أن تتعامل مع شخصيات لا تعرفها من الأساس ؟ .. ولكنها رأت في عيني " مروة " لهفة لم ترَها في عيني صديقتها من قبل، سمعت تلك الرعشة في نبرات صوتها حينما تتحدث عنه، تتذكر هذا الكم الهائل من السعادة الذي بدى على إبتسامتها وضحكاتها التي تخرج من القلب بعدما ارتبطا سويًا ..

انتابها فضول قوي أن تتعرف على تلك الشخصية التي جعلت صديقتها في تلك الحالة . فالرجال عمومًا لا يستحقون كل ذلك الاهتمام ولا تلك المساحة التي توفرها لهم النساء في حياتهن، نعم يستحقون مساحة وإن كانت في نفس حجم المساحة التي يشغلها الأكل في حياة البشر، أو لا .. ربما أقل قليلًا .

مرت ليلى بالكثير من التجارب التي امتلأت بالرجال الذين يحاولون التقرب منها، فهذا يحاول أن يساعدها في المحاضرات، والآخر يحاول ابهارها بوسامته .. لم يخلُ الأمر أيضًا من تلك اللقطات الطفولية لذلك الشاب الذي يدفع بأحدهم لمعاكستها ثم يأتي هو كبطل يحاول انقاذها من براثن هذا الذئب البشري ...

كانت ترى الموضوع مضحك ليس أكثر، فالرجال الشرقيون تشغل المرأة معظم تفكيرهم، وإن كانت تعتقد أنَّهن يشغلن تلك المساحة نظرًا لأن فطرة الله في خلقه أن عملية التزاوج تقوم بين رجل وامرأة .. أما إن كانت تقوم بين الرجال وبعضهم ، فأقسم أننا لن نشغل في حيز تفكيرهم أكثر مما تشغله مساحة اهتمامهم بأجدد مستحضرات التجميل .

نعم الرجال مهمون في حياة المرأة والعكس صحيح، ولكن وجودهم ينحصر في منطقة الصداقة .. أما إن تطوَّر الأمر ووجد الرجل نفسه في منطقة الحبيب أو الزوج، فان تحكُّماته تبدأ في الظهور، وتتحوَّل جملة " ما تنزليش من غيري عشان بخاف عليكي " إلى " مفيش نزول م البيت أساسًا "، تتحول مكالماته الغرامية إلى مكالمات موجَّهة بالأساس لأحد برامج الطبخ للسؤال عن طبق اليوم،

أما نظرته لها فهي لا تتغير كثيرًا وإن كانت أكثر قناعة، فهو لا يريد أن يراها " أحلى واحدة في الدنيا " .. يكفيه فقط أن تكون " شبه صافينار " ! .

لذلك فهي ترى أنه إذا أراد شخص الارتباط بها، فعليه الارتباط بها كلها ، بتفاصيلها التي لن يعجبه كلها بالتأكيد، بحريتها التي دائمًا ما تسبب للرجال

مشكلة أزلية، بأفكارها التي قد يتوافق مع بعضها ولن يتوافق مع البعض الآخر ..

أما إن كان يظن أنه يُسدى لها خدمة العمر في تحمل أخطائها التي دائمًا ما يقول الرجال بأنها تظهر بعد الزواج، فليتذكر أن التضحية متبادلة؛ فهي بطبيعة الحال، ستتقبَّل بعد الزواج أن يشاركها في زوجها ذلك الشريك المدعو بال"كرش" عن طيب خاطر .

ارتدت ليلى ملابسها والتي كانت بسيطة للغاية، واختارت أن تقوم بترك شعرها مفرودًا خلفها للوراء كموج البحر مع بضع رشات من عطرها الذي ابتاعته لنفسها في عيد مولدها .

خرجت لتجد والدتها تعد الغداء مدندنة مع أنغام أم كلثوم، أحسَّت الأم بحركة ليلى خلفها ولكن نظرها لم يبتعد عن الإناء أمامها ..

- صباح الخير يا حبيبتي
- صباح النور يا ماما
- هتلاقي الفطار متشال في التلاجة، صحيتك عشان تفطري معانا بس إنتي ما رضيتيش تصحي
- لا أنا مش هفطر، أنا نازلة مع مروة
- طب كُليلك لقمة قبل ما تنزلي
- ما إحنا هنقعد في كافيه وهاكل هناك ما تقلقيش . مش عايزة حاجة من تحت ؟
- لا سلامتك، بس ما تتأخريش بقي والنبي عشان المرة إللي فاتت ابوكي فضل يتخانق معايا أنا .

- حاضر يا أمي ..

قالتها ليلى وهي تطبع قبلة على خد أمها، أخذت هاتفها ومفاتيح السيارة واتجهت للخارج.

وصلت ليلى متأخرة عشرة دقائق، فبرغم سكنها في حي مصر الجديدة منذ طفولتها، إلا أنها لا زالت تنسى الطرق والشوارع فيها .. دخلت ليلى المكان الذي كان هادئًا بشكل لطيف، الأضواء خافتة بشكل مريح ومتناسب مع تلك الموسيقى الكلاسيكية المُنبعثة في الأرجاء .

لم تأخذ ليلى وقتًا طويلاً لتتعرف على مكان جلوسهم، فالمكان لم يكن مزدحمًا، رأت مروة تجلس أمام شابين أحدهما يتبادل النظرات مع مروة بينما يتحدثان والإبتسامة تعلو شفاههما، كان طويلًا، رفيعًا، مُرتب الشعر والثياب، حليق الذقن، بالتأكيد هذا هو شريف .

أما الآخر، فكان نظره موجَّه للسقف واضعًا يديه خلف رأسه التي أمالها للوراء، يبدو من وضعيته أنه ليس مستمتعًا بوجوده .. تمامًا كما تشعر ليلى .

اتجهت ليلى تجاههم مناديةً على مروة التي التفتت إليها بإبتسامة ساخرة..

- هتفضلي لحد إمتى بتتوهي كده ؟
- ما أنا أول مرة آجي المكان ده .. وبعدين ما إتأخرتش كتير أهو
- طيب أعرَّفك بقى .. ده شريف، وده زياد صاحبنا

مدت ليلى يدها لتصافح شريف الذي وقف مبتسمًا مادًّا يده إليها، أما زياد فقد مد يده إليها بلا مبالاة مع إبتسامة بسيطة وإن كانت مصطنعة .

جلست ليلى في الكرسي المواجه لزياد وبدأت تتجول بعينيها في المكان، كان المكان وكأنه غابة صغيرة، الحوائط والأرضيات خشبية، والطاولات كأنها جذوع أشجار كبيرة مع تلك الكراسي المكسوة بقماش أخضر اللون، أما السقف فكانت تتدلى منه أوراق اشجار وأغصان اللبلاب المتسلق مع بعض الورود، نظرت ليلى للنوافذ فوجدتها عبارة عن زجاج ملوَّن صغير على طريقة الموزاييك – الفسيفساء – والتي ترسم في كل نافذة لوحة صغيرة وتضاء بضوء الشمس التي كانت قد بدأت في الغروب ممَّا أعطى النوافذ منظرًا خلَّابًا.

أما ما أثار دهشتها بحق هو كيف أنها تستطيع أن تشم رائحة العشب المبلول بقطرات الندى رغم أنه غير موجود بالمكان . كان المكان مدهشًا بحق .

ظلَّت ليلى تتجوَّل بعينها بالمكان حتى انتشلها صوت مروة ..

- ليلى .. هتشربي ايه يا بنتي ؟ الراجل واقف بقاله حبة
- معلش ما خدتش بالي .. ممكن بيبسي .

أخذ العامل الطلبات وابتعد، في الوقت الذي بدأ شريف فيه بالكلام ..

- إنتي زهقانة مننا ولا ايه؟ ، من ساعة ما جيتي وشك في السقف
- لا والله أبدًا، بس المكان ده حلو أوي
- شريف هو إللي عرَّفني ع المكان ده ..

" قالتها مروة بنبرة طفلة تفتخر بوالدها "

- ذوقك حلو أوي ..
- لو ذوقي وحش ما كنتش هحب صاحبتك دي

نظرت ليلى لصديقتها التي كانت قد تلوَّنت وجنتاها باللون الأحمر بعد هذه الجملة، وابتسمت في خجل، كتمت ليلى ضحكتها على هذا المنظر الغريب وحاولت تغيير الموضوع ..

- ما قولتليش بقى يا دكتور شريف ناوي تتخصص ايه ؟

- غالبًا عيون، شغلها حلو ومش متعب زي باقي التخصصات، مع إن ده مش رأي زياد خالص.

انتبه زياد حينما سمع إسمه واعتدل في جلسته :

- بتقول حاجة ؟

- صح النوم يا عم .. كنا بنتكلم ع التخصصات ورأي حضرتك في العيون

- مملة ..

كان زياد يشعل سيجارته بينما يتحدث من جانب فمه

قاطعته ليلى .. :

- إنت دكتور برضه ؟

- يعني بيقولوا كده

- طب ومش عارف إن السجاير مُضرة مثلًا ؟

- عارف .. زي ما إنتي عارفة إن البيبسي مضر ومع ذلك بتشربيه .

- بس ضرر عن ضرر يفرق ..

- المبدأ واحد، الاتنين مضرين والاتنين بنحبهم .

- زياد ده يا ستي فيلسوف الشلة، عنده أفكار لوحده كده غير كل البشر .

قالها شريف وهو يضحك مُربِّتًا على كتف صديقه بجانبه .

- وناوي تتخصص ايه بقى يا فيلسوف ؟

- طب نفسي .

- دكتور مجانين يعني ..

قالت ليلى جملتها بنبرة تحمل الكثير من السخرية، أرادت إستفزاز ذلك المغرور كما فعل معها، هو مَن بدأ الحرب والآن .. عليه تحمُّل نتائجها .

ولكن جاء رد زياد بنفس الهدوء الذي يعتليه منذ أن جاءت، قال زياد بعد أن نفث الدخان من فمه :

- اه ، ده يعتبر جزء من شغلي .. ولو إني شايف إن العاقلين هم إللي فعلًا محتاجين دكتور نفسي .

- إزاي يعني ؟

- المجانين خلاص ارتاحوا .. العاقلين هم إللي بيبقوا مضطرين يصحوا كل يوم عشان يواجهوا مشاكلهم الجديدة وهُمَّ لسه بيحاولوا يحلوا مشاكلهم القديمة إللي ما اتقفلتش، مضطرين يتعاملوا كل يوم مع ناس ما بيحبهومش بعد ما خسروا الناس إللي حبوهم، مضطرين يمشوا في مستقبل مكنش قدامهم فيه فرصة الإختيار .. المجنون كل يوم بيدوَّر على أكل و شرب و مكان ينام فيه، إنما العاقل بيدوَّر كل يوم على سبب واحد يخليه يعيش .. أو على الأقل ما يتجننش .

- إيه يا عم الكآبة دي .. !! الدنيا فيها حاجات كتير حلوة تخلينا نعيش مبسوطين.

- بالظبط، إحنا محتاجين نعيش مبسوطين .. عشان كده بنعيش طول حياتنا ندوَّر ع الحاجات الحلوة إللي في الدنيا ونبص على نص الكوباية المليان .. لحد ما بييجي يوم بنكتشف فيه إن أساسًا مكنش فيه كوباية .. وساعتها بنتحول من مبسوطين لراضيين، عايشين لمجرد إننا لازم نعيش، وهنا بييجي دوري .. أضحك ع الناس وأفهِّمهم إنه فيه كوباية وإن فيها نص مليان عشان أدِّيلهم أمل في إللي جاي .

- بيتهيألي إنت إللي محتاج تتعالج ..

ابتسم زياد إبتسامة خفيفة، قبل أن يُنهي قهوته ويعود بظهره للوراء من جديد ..

- وإنتي بقى في كلية ايه ؟

- حقوق ..

قالتها ليلى وعيناها مثبتتان على الهاتف بلا اهتمام .

- بجد ؟ ما يبانش عليكي خالص

- إشمعنى ؟ دي كمان فيها مشكلة ؟

- مش كده .. بس طريقتك في اللبس واهتمامك بتفاصيله يقول إنك في كلية غير كده خالص .. فنون جميلة مثلًا .

- وهُمَّ بنات حقوق مبهدلين ولا ايه ؟

- أنا ما أقصدش كده ..

- أمال تقصد ايه ؟

- أقصد إن شكلك حلو ..

سكتت ليلى للحظة لا تعرف ماذا تقول، خصوصًا وأنَّ عيناه كانتا مثبتتان على عيناها باهتمام، ثم وبابتسامة تلقائية ردت :

- شكرًا ..

ابتسم لها زياد إبتسامة خفيفة قبل أن يلتفت لشريف ويتحدثا سويًا .

عادت ليلى لتنظر لهاتفها، ولكن هذه المرة بلا تركيز .. في البداية يتعامل بمنتهى السخافة، ثم فجأة وبلا مقدمات يمدحها ويتخطَّى حدوده ويخبرها أنها.. جميلة .

نعم، أعرف أنني جميلة .. لستَ أول من يخبرني ولن تكون الأخير، ولكن على غير العادة لم أهاجمه، لم أصده .. بل أشكره !

- روحتي فين يا بنتي ؟

إنتشلها صوت مروة من تفكيرها، لحظة من الصمت مع نظرات تائهة بلا هدف، ثم أجابت :

- ايه ده ؟
- ايه ده ؟! ده إنتي ضايعة خالص
- ما خدتش بالي معلش
- طيب إحنا هنمشي، هتمشي معانا ؟
- رايحين فين ؟
- قولنا هنتمشى شوية، بس زياد مش عايز ييجي .. فتعالي معانا
- لأ أنا هروح
- ليه يا بنتي وراكي إيه ؟

- عشان ما أتأخرش، مش عايزة مشاكل مع بابا
- طب يالا بينا .

وجدت ليلى شريف ومروة يسلمان على زياد ..

- ايه ده إنت مش هتمشي ؟
- لا أنا قاعد شوية، عجبني المكان بصراحة .
- طيب تمام .. فرصة سعيدة يا دكتور
- أنا أسعد يا أزميرالدا
- أزمي مين ؟
- أزميرالدا .. من أشهر بنات الغجر .. وبما إني عندي مشكلة مع حفظ الأسامي، وبما إنك شبهها فأنا هسميكي أزميرالدا ..
- غجر ؟! ..

سألت ليلى بحدة، وازدادت حدة نظراتها مع صوت ضحك زياد الذي قال:

- دي مش شتيمة، دول ناس زينا عادي يعني .. إنتي ما شوفتيش أحدب نوتردام ولا ايه ؟
- اه شوفته بس مش فاكراه .. هبقى أشوفه تاني بقى لما أروح .. سلام
- سلام .

التفتت ليلى و مشت بإتجاه الباب، خرجت وألقت نظرة أخيرة على زياد الذي كان كالعادة مريحًا رأسه على كفيه محلقًا في السقف .. ضحكت ليلى على اسمها الجديد .. " أزميرالدا ".

اعتادات أن يناديها الناس باسمها أو الاسماء المعتادة لأي فتاة في مصر من " قمر " و "عسل" مرورًا بـ " جميل " ووصولًا لـ "بطل " .. ،

لكن ازميرالدا مختلف .. تمامًا كما صاحبه .

اختفت إبتسامة ليلى سريعًا بعد أن رفضت السيارة الدوران .. تدير المفتاح، تضغط على دواسة البنزين مرات ومرات .. حتى أنها تضرب ال "تابلوه" بقبضتها ولكن لا شيء ..

نزلت ليلى من سيارتها بعد أن فتحت ال "كبّوت"، ووقفت تنظر للسيارة وقتًا ليس بالقليل، لتُفاجأ بصوت من خلفها مباشرة :

- فاتحة الكبوت وعارفة بتعملي ايه ولا بتتفرجي عليه ؟

كان هذا صوت زياد، بالتأكيد لاحظها من الشباك وهي ما زالت واقفة .

- خضتني حرام عليك
- أزميرالدا ما كانتش بتتخض

ضحكت ليلى بسخرية وقالت :

- طب تعالى يا عم سوبر مان ساعدني بدل مانت بتتريق
- و الله يا بنتي كان نفسي، بس لا بحب العربيات ولا بفهم فيها
- أمال بتتريق ليه طيب من أول ما جيت ؟
- إنتي إللي واقفة قدام الكبوت .. ودي عربيتك إنتي برضه، وبقالك حبة قدام الكبوت بصّاله كإنك هترسميه وما عملتيش فيه حاجة .. يبقى أتريق ولا لأ ؟

سكتت ليلى، ثم نظرت للكبوت نظرة أخيرة قبل أن تغلقه بقوة وتخرج هاتفها لتتصل بأمها، ولكن أتاها صوت السيدة الأكثر إزعاجا بالدنيا ..

" عفوًا، لقد نفذ رصيدكم .. يرجى إعادة شحن البطاقة ومعاودة الاتصال " .

- معاك رصيد ؟
- اه إتفضلي ..

أخذت ليلى الموبايل من زياد وأخبرت امها بما حدث، وإنتهت المكالمة على أن والدها سيأتي لاصطحابها بعد ساعة .

- شكرًا
- عفوًا، على ايه ؟

ظل الصمت مخيّمًا عليهما ... إلى أن كسره زياد قائلاً :

- تعالي ندخل نقعد جوه بدل وقفتنا بره دي .

دخلا سويًا و جلسا بنفس المكان، ظلت ليلى صامتة بينما زياد ينقل بصره بالمكان إلى أن نظر إليها وقال :

- بيبسي برضه ؟
- لا مش قادرة شكرًا ..
- يبقى بيبسي .

وقبل أن تستطيع تكرار رفضها، كان زياد قد طلب البيبسي والإسبرسو .. في الواقع لم تستطع أن تعترض أصلًا بعد أن رن هاتفها برقم مروة ..

- أيوة يا ليلى، روحتي يا حبيبتي ؟
- لا لسه ..
- ايه فينك كل ده ؟
- أنا في الكافيه مع ...

نظرت ليلى لزياد محاولة أن تتذكر اسمه، فنظر لها زياد ثم همس :

- سوبرمان .

ضحكت ليلى وهي تفتح مكبر الصوت، ثم قالت :

- أنا في الكافيه مع سوبرمان
- مع مين ؟
- سوبرمان
- إنتي إتجننتي يا ليلى ؟
- ليلى مين ؟ أنا اسمي أزميرالدا

قالتها ليلى و هي تضحك بشدة هي وزياد على مروة التي قالت :

- أنا مش فاهمة حاجة خالص، لما تروحي إبقي كلميني
- ماشي سلام

ظلت ليلى تضحك بعد أن أغلقت مع صديقتها، لم يهدىء من ضحكها سوى أنها إكتشفت أن زياد ينظر لها ويبتسم كإبتسامة اب لطفلته الصغيرة .. أحست ليلى ببعض الخجل الذي دارته بضحكتها

- ايه بتبصلي كده ليه ؟
- أصلك بتضحكي يعني عادي ..
- وهو حد قالك إني كئيبة ؟
- لا أبدًا .. هو الحقيقة محدش قالّي عنك حاجة خالص، وده كان أحسن بصراحة
- أحسن ؟!
- طبعًا .. لأن لو مهما حكوا عمرهم ما كانوا هيقولوا إنك شبه أزميرالدا

- إنت ايه حكايتك مع أزميرالدا دي ؟
- أزميرالدا ؟ دي فتاة أحلامي من وأنا صغير ..
- ويا ترى أزميرالدا في الفيلم حبيبها كان دكتور برضه ؟
- لا كان فارس في القصر
- بزمتك ده منظر فارس طيب ؟!

ضحكت ليلى على منظره الذي لا يليق أن يكون فارس أبدًا .. جسم نحيف، ذقن خفيفة، شعر طويل غير مرتب بعناية ونظارة نظر .. لا يمكن أن يكون فارس .. ولكنه بالتأكيد .. جذاب .

رن هاتفها لتجد رقم أبيها، ينتظرها بخارج المحل .. وقفت ليلى تسلم على زياد الذي أمسك بيدها من معصمها وأخرج من جيبه قلم ..

- انت بتعمل ايه ؟
- إستني شوية ..

نظرت لتجد زياد منهمكًا في الكتابة قبل أن ينظر لها وهو لا يزال ممسكًا بيدها :

- ما تبصيش فيها غير في العربية، إتفقنا ؟
- إنت كتبت ايه ؟
- إتفقنا ؟ ..

قالها زياد بلهجة لا تحتمل النقاش .

- اتفقنا .

خرجت ليلى قبل أن يندهها زياد :

- أزميرالدا .. ما تنسيش تتفرجي ع الفيلم .

- أكيد هشوفه النهاردة . سلام

ودَّعها زياد ملوِحًا بيده، ثم عاد للجلوس على كرسيه من جديد مبتسمًا هذه المرة مدندنًا مع ألحان الاغنية .

ركبت ليلى السيارة مع والدها الذي ظل يعاتبها على اهمالها واستهتارها وأنهما مضطرين لترك السيارة مكانها حتى اليوم التالي ليأتي ويصلحها ..،

ولكن عقلها لم يكن لا مع والدها ولا مع السيارة، إنتظرت ليلى إلى أن إبتعدا عن المكان حتى فتحت يدها لتجد مكتوبًا فيها :

Some Day When I'm Awfully Low

When The World Is Cold

I Will Feel A Glow Just Thinking Of You

And The Way You Look .. Tonight

ظلت ليلى تنظر إلى يدها وهي مبتسمة، أما زياد .. فلأول مرة لن يتذكر أحد باسمه الذي أعطاه له، بل سيتذكرها هي .. بكل ملامحها وطريقتها واسمها .. ليلى .

(٣)

كان صوت فيروز هو الصوت الوحيد بالمكان، وكأن كل الموجودين قد سكتوا إحترأمًا لهذا الصوت الملائكي ..

كلٌ قد تجاوب مع صوتها بطريقته ...

في آخر المكان كانت تجلس فتاة تبدو في أواخر العشرينيات، ترتدي فستانًا أحمرًا طويلًا هادئًا، برغم أنه بلا شيء مميز إلا أنه جعل منها جذابة جدًا، شعرها مربوط فوق رأسها مع بعض الخصل على عينها .. وكانها تضفي على وجهها ظلالًا تزيد جمالها جمالًا ..

كانت تمسك قلمها و ورقتها وترسم وهي تتحرك مع صوت الموسيقى، تشعر لوهلة أنها مندمجة مع الموسيقى وكأنها ترسم كلمات الأغنية .

على الجانب الآخر رجل وامرأة بلغا من العمر ما كان كفيلًا بتحويل شعرهما إلى الأبيض، لكنه لم يكن كافيًا ليمحو الإبتسامة من على شفاههما .. ارتدى الرجل بدلة رصاصية اللون مع ربطة عنق زرقاء داكنة بنقاط بيضاء صغيرة ومنديل نفس اللون، أما هي فكانت ترتدي فستانًا قصيرًا بنفس لون ربطة عنق الرجل .. وتركت شعرها القصير ينسدل خلفها تُحرِّكه نسمات الهواء من النافذة بجوارهما .. ضحكت ضحكة طفلة صغيرة حينما قام الرجل من مكانه وأمسك يدها طالبًا مراقصتها، وقامت هي بكل دلال ترافقه بالرقصة بتلك المساحة الصغيرة بجوار طاولتهما ..

وفي ركن صغير اعتاد الجلوس فيه دائمًا، يجلس زياد كالعادة ممسكًا بسيجارته يراقصها بين أصابعه على أنغام الاغنية ..

كان نظره مُثبَتًا على الباب منذ فترة ليست بقليلة، نظرة وكأنها نظرة أمل، أمل في أن يراها مرة أخرى تدخل كما اعتاد أن يراها ..

كان لدخولها تأثير على المكان كله، وكأن كل الأضواء تخفت خشوعًا لضوئها، رائحتها التي كانت تبعث الحياة في المكان، وإبتسامتها التي تبعث الحياة في روحه ..

شعرها المتراقص مع كل خطوة تخطوها، وجودها كان كفيلًا بأن يمحو وجود الكل .

كانت هي ..

بكل تفاصيلها وملامحها ، بكل ما قالته يومًا .. وبعدد اللحظات التي سكتت فيها ..

كانت هي ..

الوحيدة التي ملأت قلبه، والوحيدة التي خُلقت لتغني لها فيروز .

في تلك الأثناء دخلت نور، فتاة في منتصف العشرينيات متوسطة الطول، قميصها الزيتي المفتوح مع التيشرت الأبيض والبنطلون الأزرق الداكن وكأنهم صنعوا من أجلها .

نعم مقومات الجمال مختلفة من شخص لآخر، ولكن بكل تأكيد كانت نور من تلك الفتيات التي تستطيع أن تخطف أنظارك، اتفق أو اختلف مع جمالها، ولكن بكل تأكيد سوف تتفق معي أنها جذَّابة لأبعد الحدود .

وقفت نور أمام الباب وكانها تبحث عن شيء ما، رفع زياد يده لتراه .. رأته واكتسى وجهها بإبتسامة جعلت منها أجمل ما خلق الله في الأرض، ولكن زياد كان يتأمل المشهد كله ..

لم يكن لدخولها نفس تأثير دخول ليلى ..

لم تخفت الاضواء خشوعًا لضوئها ..

لم تبعث إبتسامتها الحياة في روحه ..

نظر زياد إلى يده اليمنى على دبلة خطوبته من نور ..

نعم ، لم تملأ قلبه .. ولم تكن هي التي خلقت لتُغني لها فيروز .

- إتأخرت عليك ؟

- لأ خالص ..

إبتسم زياد ثم أكمل :

- شكلك حلو النهاردة .

إبتسمت نور و حركت عيناها بعيدًا ..

- حلو اللبس ؟ ده أنا لسه جايباه إمبارح .

- أنا بحب ذوقك جدًا ، والبرفان كمان تحفة .

حاولت نور تغيير الموضوع .. :

- بص الاتنين الحلوين إللي هناك دول ؟ أنا أول ما شوفتهم قولت لما نكبر أنا وإنت هنبقى زيهم كده .

التفت زياد لينظر للزوجين خلفه، رأى زياد نفسه جالسًا أمام ليلى، يحدق بتفاصيل وجهها التي غيَّرتها عوامل الزمن، يتأمل ثناياها حين تظهر بوضوح مع كل ضحكة تضحكها .. رأى نفسه سعيدًا .. رأى نفسه " حيًا " .

- وأنا كمان .. قولت هنبقى كده .

طلبت نور الشوكولاتة الساخنة المعتادة، بينما طلب زياد المزيد من القهوة ..

- مش كفاية قهوة كده يا حبيبي ؟ كده هتتعب .

- ما تقلقيش ما فيهاش حاجة ..

خفت صوت الموسيقى إستعدادًا لتجهيزات الحفل، كان المكان يُعدّ تلك الحفلة الشهرية بشكل منتظم ليتيح الفرصة لكل أصحاب المواهب من رواده أن يقدِّموا ما لديهم ..

اعتاد زياد حضور ذلك اليوم ليشاهد المواهب، أو ليراها مجددًا .. يتذكر كيف رآها ذات مرة تعزف على البيانو بأصابعها الرقيقة، وكأن السوناتا قد خلقت فقط لتلعبها " ليلى " بأصابعها ...

يومها كانت تعزف وتوقفت الأرض عن الدوران من حوله، خفتت الأضواء وكانت فقط هي ..

يومها عرف أنه وجد ضالته .. يومها أحسَّ بقلبه وكأنه ينبض لأول مرة مع أنغام البيانو .

جاءت القهوة والشوكولاتة في الوقت الذي دخل فيه " شريف " و " مروة " المكان ..

- إنت يابني لازم أشوفك مرة كل سنة ؟

ضحك زياد و هو يرد :

- والله يابني ما بمزاجي، الماجستير قاضي عليا .

- أنا مش هتكلم بس عشان نور، إحمد ربنا إنها هنا ، دي شايلة عنك بلاوي

- من غيرها هي ومروة كان زماننا قاتلين بعض غالبًا .

ضحك الجميع وهم يجلسون، زياد وشريف يتحدثان عن الماجستير ومشاكله، ونور ومروة تتحدثان عن الموضة والماكياج ..

التفت زياد بوجهه لتقع عينه على الباب، ورآها .. !

كانت في فستانها الأسود الطويل مع شعرها الأسود الذي تكسوه لمعة حمراء بسيطة، اختارت أن تترك شعرها متوسط الطول مموجًا مفرودًا كما أحبه، وما أدهشه أنها إرتدت الزمردة الحمراء .. تلك التي اشتراها لها حينما كانا سويًا ، يومها أخبرها أنها أجمل من إرتدت حُلي الغجر .. أخبرها إنها أسرت قلبه بسحر " إزميرالدا " .

أغمض زياد عيونه كي تتلاشى صورتها من جديد، لا بد أن يعتاد على عدم وجودها، لا بد ان يعتاد أنها لم تعد له، لا بد أن يفهم أنَّ قلبه أصبح معلقًا بأخرى ..

فتح زياد عينه مرة أخرى، لكن الصورة لم تتلاشى، بل كانت على المائدة تحتضن مروة، بينما كان مروان يشعل سيجارته وهو يتحدث مع شريف ..

إذًا لقد جاءت، إنها هنا في نفس المكان الذي اعتادا أن يجلسا فيه، تمسك بيد رجلٍ آخر غيره.

- إزيك يا مروان.

- أنا لقيتك مركز، قولت ما أقطعش تركيزك.

- لا خالص أنا معاكو أهو.

- أنا فاكر إني شوفتك في الفرح بس أعذرني الأسامي بتروح من دماغي
- زياد .. عادي يا معلم ولا يهمك كلنا بنسقط حاجات كتير .
- حبيبي معلش حقك عليا .

وقف زياد مادًّا يده لمصافحة مروان، ثم التفت لليلى .. يقاوم رغبته الجامحة في احتضانها، أو ربما ضربها على تركه من أجل شخص آخر، ومع كل تلك الحرب بداخله ابتسم زياد إبتسامته المصطنعة المعهودة :

- ازيك يا ليلى ؟

إبتسمت ليلى بثبات وهي تمسك بيده :

- تمام .

وصل أحد العاملين بالمكان لأخذ طلبات الثنائي الجديد، طلب مروان شاي بينما تحدثت ليلى وهمس زياد في نفس الوقت :

- أنا هاخد بيبسي .

أشعل زياد سيجارته ونفخ دخانها محاولًا نفخ الذكريات التي تفتك برأسه، يتذكر إبتسأماتها، كلماتها، شرودها بأركان المكان ..

يتذكر كيف تبدو قوية، واثقة، كيف استطاعت أن تأسر قلبه من اللحظة الأولى، وكيف استطاعت أن تلقي بقلبه إلى بئر ابن يعقوب، لكن هذه المرة لن يشتريه أحد .

نظر زياد إلى ليلى ونور اللتان جلسا بجوار بعضهما .. لم يكن ليحب غيرها مهما حاول، كانت هي الأولى .. والأخيرة .

اقتربت نور من زياد :

- حبيبي أنا لازم أمشي
- ليه ؟
- محمد أخويا بعتلي ع الواتساب، أروح عشان ما أتأخرش وأنا مش عايزة حوارات في البيت
- ماشي، خدي بالك من نفسك
- إنت مش هتيجي معايا ؟
- معلش بقالي كتير ما قعدتش معاهم، ف شوية كده وهمشي
- ماشي يا حبيبي، وطمني لما تروح
- حاضر

طبعت نور قبلة على خده، بينما قبَّلها هو على رأسها .. وحاول أن يصدق أنه لمح في عيني " ليلى " نظرة غيرة، او ربما كان يحاول أن يقنع نفسه أنها لا زالت تهتم لأمره من الأساس .

خرجت نور بعد أن سلمت على الجميع، وأشعل زياد سيجارته في اللحظة التي سأله فيها مروان مازحًا :

- ينفع كده ما تعزموناش ع الخطوبة ؟
- والله الموضوع جيه فجأة، وكان ع الضيق جدًا .. بس أكيد في الفرح مش محتاج أعزمكوا يعني ..

نظر زياد إلى ليلى ثم أكمل:

- ده انتوا عِشرة .

بدأت الحفلة، انتبه زياد ليجد المكان مزدحم بالناس، هذا هو عيب ذلك اليوم، فالمكان عادةً هاديء وهو ما يميزه عن باقي الأماكن الأخرى .

بدأت أولى المواهب في الغناء ، و قد اختارت أغنية " كيفك إنت " لتشدو بها بصوتها ..

تأفف زياد وهو ينفخ دخان سيجارته :

- المفروض يمنعوا الناس إنها تعمل الجريمة دي

ردت ليلى :

- جريمة إيه ؟

- مش أي حد المفروض يغني لفيروز

ضحك شريف :

- يا عم ما هي صوتها حلو أهي ، مالها ؟

- مش اي حد يغني لفيروز، فيروز دي صوتها ليه قدسية ما ينفعش حد يقرب لها، ليها أغاني بصوتها هي وبس تقدر ترجعك لذكريات وتعيّشهالك تاني، تقدر تقول كل إللي جواك ومش قادر تقوله .. فيروز لما تقول كيفك إنت بتحسها كيفك إنت، في حين إن لو حد تاني غناها ممكن جدًا تحسَّها " إزيك وإزي امك " .

ضحك الكل على عصبيته، ثم التفت له مروان :

- إنت واضح إنك بتحب فيروز أوي بقى ..

- جدًا .

- طيب ايه أكتر أغنية بتحبها ليها ؟

سكت زياد للحظة وكانه يسترجع أغاني فيروز في رأسه، لكنه في الحقيقة كان يبحث عن الأغنية المناسبة التي قد تليق بها، تلك الفاتنة الغجرية .. لم يكن ليليق بها أكثرمن :

- أهواك بلا أمل .

- هي حلوة اوي، بس ليه ما إخترتش حاجة تفرح شوية ؟

- الأغنية دي عنوانها في حد ذاته كفاية، قصص كتير أوي إتلخصت في الجملة دي .. ناس كتير حبت وما كملتش، ناس حاولت تفضل وإضطرت تبعد، ناس عارفة إنها بتحب حد عمره ما هيحبها ولا هيبقى ليها .. الناس دي هي إللي فعلًا بتحب بجد .. يمكن تقول عنهم عندهم متلازمة ستوكهولم، بس أنا شايف إن دول أكتر ناس بيحبوا بجد، لأنهم مش مستنيين حاجة من إللي بيحبوه .

- عندهم ايه معلش ؟

- متلازمة ستوكهولم أو Stockholm Syndrome ، دي متلازمة بمعنى إن الشخص بيحب الشيء أو الشخص إللي بيأذيه، هو عارف إنه بيأذيه بس بيحبه ومتعاطف معاه بأي شكل من الأشكال .

- إسمحلي بس ده يبقى اسمه غباء، يعني ايه تبقى عارف إن حد بيأذيك و تحبه ؟

- خليني أنا أسألك سؤال .. تفتكر أنهي جه الأول ؟ الحب ولا الأذى ؟

- بيتهيألي الحب .

- بداية ظهور المتلازمة بتقول عكس كده تمامًا، بس العلاقات البشرية بتقول إنه معظم الحالات بيكون الحب فيها الأول .. صدقني لما تحب حد بجد صعب إنك تكرهه، وصعب أكتر إنك تحب غيره .

- بس ده بيأذيك ..

- يمكن الأذي إنت مش شايفه أذى، يعني لو واحدة بتحب واحد وهو بيقول بيحبها بس طريقته بتثبت عكس ده، ما بيعملش حاجة تثبتلها إنه بيحبها أصلًا .. ده ما يبقاش اسمه أذى ؟

- يبقى أذى طبعًا ..

- هي بقى مش شايفاه كده، هي هتشوفه مرحلة محتاجة تحدي، هتشوف نفسها هي إللي مقصرة ومش عارفة تحببه فيها، عقلها هيصورلها إن هي إللي غلطانة مع إن هو في الأصل إللي ما بيحبهاش .

- إزاي ده .. ؟

- الموضوع بسيط، الانسان مكون من ٣ حاجات .. قلب، وعقل، وروح . هضربلك مثال يشرحلك كلامي ..

وإنت صغير ممكن تشوف كوباية شاي شكلها يعجبك فتقرر تمسكها، هتتلسع، وبالتالي عقلك هيصورلك إن الكوباية دي بلون الشاي ده وحشة ما تقربلهاش .. فبالتالي قلبك هيكره الحاجة إللي إتسببت في إنك تتلسع .. في حين إنك لما تكبر ممكن تجرب تشرب الشاي بعد ما يبرد شوية .. تلاقي نفسك بتحبه .

- مش فاهم قصدك بصراحة ..

أشعل زياد سيجارته، ثم قال :

- الفرق بين عقلك وروحك إن روحك هي السليمة، هي إللي أصلها من ربنا .. فهي إللي على الفطرة، في حين إن عقلك بتتحكم فيه الظروف والبيئة المحيطة ..

الشيء المسيطر على عقلك أو " الأنا " لو شاف إن في حاجة إنت عايزها هيقنعك إنك لازم توصلها، بس عمره ما هيفكر إذا كانت صح أو غلط، تنفع أو متنفعش .. على عكس روحك إللي دايمًا هتختارلك الصح، إللي لما هتحب هتحب بغض النظر عن شكل إللي هتحبه أو إللي هتستفيده منه ايه .

- أنا لحد دلوقتي مش فاهم ايه علاقة ده بالموضوع

- عقلك بيعشق ال Comfort Zone ، سواء كانت شخص أو مكان هيفضل يقنعك إنه أحسن شخص في الدنيا مهما كان فيه العبر .. ليه ؟ لأنه خايف يغيره، خايف يخرج من النطاق المريح مهما كان غير مريح .. إللي بتحب واحد ما بيحبهاش يمكن مبسوطة بالأمان، أو إنه بيسمع لها، بيغير عليها حتى لوعارفة إنه بيمثل .. هي خايفة تخرج من ده وتروح لواحد، حتى لو بيحبها بجد ما يبقاش قادر يديلها نفس الإحساس .

- الموضوع كبير الصراحة ومعقد أوي

- أحب أقولك إن ده موضوع الماجستير بتاعي .

قاطعتهم ليلى :

- و إنت بقى شايف إنك بتحب خطيبتك ولا هي إللي بتحبك ؟

نظر لها زياد، لم يكن من المعقول أن يخبرها أنه لم يحب غيرها أمام زوجها ..

فاكتفى زياد بإبتسامة وقال :

- إحنا الاتنين .

عاد زياد بظهره إلى الوراء تاركًا الأربعة يتحدثون سويًا، بينما هو شارد ينفخ دخان سيجارته مكوِّنًا سحابة فوق رأسه ..،

ثم فجأة وقف زياد وبدأ في الخروج من كرسيه ..

سأله شريف :

- رايح فين يابني ؟

ولكن لم يجد منه إجابة، وكأنه مُنوَّم مغناطيسيًا .. تحرك زياد ناحية المسرح وأمسك بالمايك ..

- مساء الخير، أنا اسمي زياد، دكتور طب نفسي ... وللأسف لحد النهاردة مش عارف أعالج نفسي .

باجي هنا كتير أسمع المواهب إللي بتطلع ع المسرح .. بس عمري ما فكرت أشارك، معرفش ليه طلعت النهاردة .. والحقيقة مش محضر حاجة أقولها، أنا مبدأيًا كاتب، كنت زمان بكتب مقالات على قدي كده أيام الجامعة .. بس ما حاولتش أنشرها، حصل موقف في حياتي خلاني لا إراديًا كتبت شعر، كتبت قصايد كتير أوي للبنت إللي كنت بحبها، و النهاردة قررت أقول آخر قصيدة كتبتهالها و عنوانها " ساعات بشتاق" ..

ساعات بشتاق

لناس في الاصل مش ليا

ولا كان بينا يوم حكايات

لكن بشتاق

اداري الشوق بخاف ليبان
واخاف تلمع في يوم عيني
إذا قولتيلي يلا فراق
منا بشتاق
ك تايه وسط ضلمة ليل
وكنتي بالنسبالة النور
عينيكي الحلوة زي بحور
وأنا بحار
لكن خايف
سمعتي فمرة عن بحار يخاف البحر ؟
يخاف منه لكن حالف ليغرق فيه
يموت فيكي فيصبح زي ميت فاق
وأنا مشتاق
كأعمى اتردله بصره على شوفك
لعنت ظروفي و ظروفك
لعنت شجاعتي لو شافت في يوم خوفك
مطمنتوش
لعنت دموعي يوم ما مشيتي و منزلوش
وبلعن قلبي ١٠٠ مرة اذا بطل في يوم يشتاق
منا مشتاق
وقبلي كتير كانوا عاشقين جمال حسنك

وأنا وحدي لمحت الحسن في التفاصيل
يشوفوا الضحكة على وشك يحبوكي
وأنا في الحزن روحي ليكي برضه تميل
وأقول مواويل
وارتل روحك الحلوة آيات قرآن
وارنمها كما الانجيل
و بحفر صورتك الآية على ضلوعي
تغيبي ابكيكي بدموعي
دموع لا بكاها يوم عنتر
ولا روميو
ولا واحد من العشاق
منا مشتاق
وبدعي المولى يجمعنا في مرة طريق
وبتعلق في قشة حبك المكسورة زي غريق
وعارف مش هتبقيلي
ولا هتكوني ليا في يوم
فراقك زيه زي الموت مصير محتوم
بلملم قلب اتكسر ٢٠٠ حتة على ايديكي
ليلاتي كان يبات غالب
قصاد عينك يبات مهزوم
و يكتب اسمه مالشهداء

يعود مشتاق
ساعات بشتاق
والشوق ساعات بيكون خطر
وساعات بيبقى ذنب ممنوع يغتفر
وساعات كتير بيكون هبل
ومن الهبل
ان الطرق تكون متقفلة و مفيش امل
و تقول يجوز
انك تعيش بالشعر الاسود
كالعجوز
انك توافق تهزم من بعد هيبة
لاكن لاجلك تكون عيبة
اذا بطلت يوم اشتاق
انا مشتاق
بقلب مازوخي يتعذب على ايديكي
فيتهنى
و اذا نسيانك الجنة
هعيش مشتاق .. و اموت مشتاق

سكت زياد وانطلق صوت تصفيق الجمهور يملأ المكان، ابتسم زياد حين شاهد الرجل المسن ذو البدلة الكحلية يقف مصفقًا له بحرارة ..

وبعد أن هدأ التصفيق، أمسك زياد بالمايك ناظرًا ناحية الطاولة التي عليها أصدقاؤه ..

القصيدة دي إهداء ليها، ليها لوحدها .. زي قلبي بالظبط .. ولو هي سامعاني، أحب أقولها ..

Some Day When I'm Awfully Low

When The World Is Cold

I Will Feel A Glow Just Thinking Of You

And The Way You Look .. Tonight

قالها زياد، ثم ترك المايك وهو ينظر لليلى وكأنه يخبرها أنها هي صاحبة الإهداء، صاحبة القصيدة، وصاحبة قلبه ..

ثم خرج من المكان بدون أي كلمة أُخرى .

(٤)

أحسَّت ليلى بخيوط الضوء تتسلل من خلف ستائر غرفتها .. ففتحت عينيها، خرج مروان لعمله مبكرًا ولكن كعادته لم يترك أثرًا يدل على وجوده حتى، كان يرتب الغرفة يوميًا قبل نزوله .. فهو يعلم كيف تعشق أن يكون كل شيء في مكانه .

كانت الغرفة واسعة، قررت ليلى في بداية زواجهما أن يكون البيت كله مدهونًا بدرجات اللون الأزرق، واختارت لغرفتهما اللون الأزرق الغامق وجميع أثاث الغرفة اختارت له اللون الأبيض .

فوق السرير مباشرة كانت صورها هي ومروان بوضعيات مجنونة يُقلِدان فيها بعضهما البعض، أما أمام السرير مباشرة فترى حديقة المنزل من الشباك.. واكتمل صباحها إشراقًا برائحة عطر مروان الرجالي .. أه كم تعشق تلك الرائحة .

خرجت ليلى من غرفتها لتستعد لبدأ يومها، أحضرت كوب قهوتها الصباحية مع اللابتوب وخرجت للشرفة للجلوس ..

فتحت ليلى اللابتوب، تشرب القهوة وتنظر فيه ولكن بلا تركيز، وكأنها تنظر إلى العدم ، أرادت أن تغلقه ولكن يداها منعتاها من إغلاقه .. وكأنها تنتظر شيئًا ما ..

قررت تفقُّد رسائلها لترى إن كانت إحدى الشركات قد قبلتها، ولكن لا جديد ..

* ارسال رسالة جديدة *

" زياد ..

إزيك ؟ يا رب تكون تمام ..

ما تسألنيش أنا بكتبلك الرسالة دي ليه؛ لإن أنا نفسي مش عارفة، وما تحاولش ترد عليها لإن دي آخر رسالة هبعتهالك . بس يمكن حسيت إنك محتاج تسمعني، أو يمكن أنا إللي محتاجة أتكلم معاك ؟ مش عارفة . أنا فعلًا مش عارفة حاجة .. مانت عارفني طول عمري متلخبطة .

عارف يا زياد، معرفش هتصدقني ولا لأ .. بس أنا ما إتفاجئتش لما شوفتك في الفرح .. لسببين ، أولًا لإنك وعدتني لازم هتشوفني بفستان الفرح .. وثانيًا لإني كنت متأكدة إنك مش هتقدر تمنع نفسك ما تجيش، يمكن ما نجحتش في إني أفضل معاك ... بس الأكيد إني الوحيدة إللي نجحت إنها مش بس تفهمك .. لأ وتحفظك كمان .

بس خوفت، مش منك لأ، أنا خوفت من نفسي .. خوفت توحشني . ما إنت ما ينفعش توحشني، أنا متجوزة خلاص ..

بس عارف، أنا محتاجة وجودك حتى لو كصديق، محتاجة الراحة إللي بحسها وأنا بتكلم معاك وعمري ما لاقيتها مع غيرك .

على فكرة أنا بحب مروان جدًا، بس الحياة ما طلعتش حب وبس زي ما كنا فاكرين، طلع مش شرط إننا عشان بنحب حد نكون بنلاقي كل راحتنا معاه، مش ضروري نقدر نستحمل كل عيوبه .. الفرق بيني وبينك إني قدرت أشوف ده، بس إنت ما قدرتش .

من زمان يا زياد وأنا متعودة أشيل مسؤوليتي بنفسي، ما كنتش من البنات المتدلعين إللي راميين الدنيا ورا ضهرهم وبيدوَّروا على تفاهات، إنت نفسك قولت عليا إني مختلفة .. بس برغم كل ده انا لما حبيتك بقيت معاك طفلة صغيرة متشعبطة في باباها .. على قد ما كنت بقدر أشيل همّ نفسي، على قد ما كنت مسلمالك إنت الدنيا عشان مطَّمنة وأنا معاك وحاسة إني محتاجة أتحامى فيك ..

أنا ما كذبتش عليك لما قولتلك إني حبيتك، أنا حبيتك أوي .. بس عارف المشكلة فين ؟ المشكلة إني خوفت .. خوفت لما حسيت إني بحبك أكتر مانت بتحبني، يمكن غلطت إني ما صارحتكش .. بس خوفت . والخوف أكتر حاجة بتعلم، أنا لما خوفت كبرت، ولما كبرت إتعلمت إني أشيل هي تاني لوحدي .. كبرت في الوقت إللي إنت فضلت شايفني فيه بنتك، كبرت في الوقت إللي إنت ما قدرتش تفهم إني إتغيرت، ولا قدرت تتعامل مع التغيير ده .. إنت فضلت زي مانت، ودي كانت المشكلة .

كان بيبقى نفسي أقولك، أوقات كتير كان بيبقى نفسي أقولك ما تضيعنيش، أنا بحبك، بس ما كنتش بقدر .. كان دايمًا في حاجة مانعاني إني آجي أتكلم معاك وأحكيلك إللي جوايا ..

يمكن خوف، يمكن عارفة إنك مش هتفهمني، وكتير كنت ببقى هتكلم وتسألني وألاقي الكلام كله هرب من دماغي .

بعدها إنت فوقت، وفعلًا إتأكدت ساعتها إنك بتحبني أكتر منا بحبك .. بس بيتهيألي ده كان السبب إللي خلاني أبعد، لإني عشان بحبك مش هرضالك

أبدًا إنك تكون مع واحدة ما بتحبكش حب قد إللي إنت بتحبهولها ده، ما أرضالكش إنك تكون مع واحدة ما تستاهلكش .

عارف يا زياد ... على قد مانت كنت شايفني مختلفة على قد مانا عمري ما شفت راجل يشبهلك .. حتى مروان .

كلامك غير كلامه ..

دماغك غير دماغه ..

كل حاجة فيك عكسه ..

أنا حبيتك وبحبه، بس عمره ما هياخد مكانك مهما حصل ..

لما جيت الفرح يا زياد أنا للحظة حسيتك إنت العريس مش هو ..

يمكن بعد الفرح نسيت على طول، بس بعد شهر العسل كان نفسي أكلمك أحكيلك حصل ايه وأحكيلك إللي شوفته، كان نفسي أقولك قد ايه أنا مبسوطة مع مروان .. بس كنت عارفة إنك هتضايق، وأنا ما أحبش أبدًا أكون السبب في زعلك .

عارف، حتى مروان ما بقيتش مبسوطة معاه زي الأول .. مفيش مشاكل بينا الحمد لله، بس عارف لما تحس إن الحياة بقت عادية ؟ زي ما تقول الإنبهار إللي كان في الأول خلص، لمعة الحب بدأت تهدى .. يمكن بفعل الوقت، يمكن بسبب المسؤوليات إللي على كل واحد فينا .. بس الأكيد إنها بتهدى .

مش هخبي عليك هو بيحاول يعمل كل حاجة عشاني، بس برضه .. حاسة إني فاضية من جوة، من ناحية كل حاجة .. مش من ناحيته هو بس .

أنا إكتشفت إني ما أنفعش لأي علاقة حب؛ لإني بخاف أحب ، بخاف أتكسر .. بس أنا إتكسرت لما حبيتك، وإتكسرت لما حبيت مروان .. بس للأسف

كسرتك . ولما شوفت شكلك بعديا قررت إني مش هعمل كده في حد تاني، حتى لو هاجي على حساب نفسي .. حتى لو هكمل حياتي مع حد بيحبني أكتر مانا بحبه .

عارف يا زياد ... ساعات كان مروان بيحب يخرجني في أماكن خرجنا فيها أنا وإنت زمان وكنت بقوله لأ، بس كتير بروح الأماكن دي وبدعي ما تكونش موجود .. بس أنا كنت فاكرة إحساسي وأنا مرتاحة و بحكيلك كل حاجة، دلوقتي أنا ما بقيتش أقدر أحكي أي حاجة، لا ليه ولا لمروة .. ولا حتى لنفسي قدام المراية ..، أنا عايشة يا زياد، عايشة بس مش مبسوطة .

كنت في مرة قولتلي إن الدكتور النفسي بيقنع مريضه إن في كوباية وإن فيها نص مليان عشان يقدر يعيش، تقدر تقنعني دلوقتي يا زياد إن بعد ما كوبايتي إتكسرت هقدر أحافظ ع المايه دي في كف إيدي من غير ما تروح ؟

صحيح .. ما عرفتش أباركلك على خطوبتك، هي حلوة ما شاء الله، بس مش فاهماك .. يمكن أنا الوحيدة إللي ما صدَّقتكش لما سألتك مين فيكوا بيحب التاني وقولتلي إنتوا الاتنين . أنا أكتر واحدة عارفاك يا زياد وعارفة إمتى بتبقى مبسوط وإمتى بتعمل نفسك مبسوط .. عارفة إمتى بتبقى فعلا حابب إللي قدامك وإمتى بتمثل إنك بتحبه، مش بقول إنك وحش أو إنك ظالمها .. بس كذِّبني لو إنت فعلًا بتحبها، وأشك إنك هتقدر .

القصيدة إمبارح كانت حلوة أوي، أول مرة أعرف إنك بتكتب وأول مرة أسمعك، عارف حسيت للحظة إني نفسي أقف قدام الناس وأقولهم دي مكتوبالي ..

بس في نفس الوقت حسيت إني جرحتك أوي، ويمكن ده سبب من الأسباب إللي مخلياني مش عارفة أعيش طبيعي، مش مخلياني قادرة أرتاح ..

وأنا محتاجة أكون مرتاحة ..

محتاجة أرجع زي ما كنت ..

محتاجة لما أبص لنفسي في المراية ما أستغربش شكلي ..

محتاجة أحس إن روحي لسه عايشة، إني مش مجرد نبض ورقم قومي ..

كلام كتير جوايا طلع، بس إللي أكتر منه كتير محبوس جوه .. بس على الأقل إتكلمت .

شكرًا ليك إنك سمعتني، شكرًا ليك إنك هنا .. وشكرًا على إحساس راحة ما حسيتوش بقالي كتير ..

وآسفة، آسفة لو كنت سبب في كسرك أو وجعك .. لإني لما بعدت عنك أنا كنت فعلًا بحبك،

خد بالك من نفسك يا دكتور.. وبلاش سجاير كتير ،زي مانا ما بقيتش بشرب بيبسي كتير كده .. بقيت مدمنة قهوة زيك .

.. أزميرالدا "

نظرت ليلى للرسالة، قرأتها مرات ومرات ..

Delete

مسحت ليلى الرسالة قبل أن ترسلها ..

وبضغطة أخرى بدأت أغنية " The Way You Look Tonight "

ومعها تركت ليلى اللابتوب وبدأت في تحضير الغداء لزوجها .. مروان .

(٥)

٢٠١٠/٨/١

المكان : قاعة المؤتمرات بجامعة القاهرة ..

" .. وفي نهاية المؤتمر، لا يسعنا إلا أن نشكر أساتذتنا الكبار وحضوركم الكريم، والآن مع الكلمة الختامية للمؤتمر للدكتور / زياد المصري .. " .

بعد حصول زياد على درجة الماجستير، تم اختياره من رئيس القسم لإلقاء الكلمة الختامية للمؤتمر في مفاجأة لم يكن هو نفسه يتوقعها . ولكن ها هو ذا، يقف على هذا المسرح الذي لطالما شاهده من مقاعد المتفرجين ليجد أمامه المقاعد ممتلئة عن آخرها، لم يعرف منهم إلا أبوه و " شريف " و " مروة " والتي كانت ممتلئة البطن في شهور حملها الأخيرة .

أمسك زياد بالميكروفون ووقف ناظرًا للكل وإن كانت نظرته بلا تركيز، ثم بدأ كلامه مبتسمًا ..

" مساء الخير ..

في البداية حابب أشكر حضراتكم على وجودكم النهاردة، وأخص بالشكر أستاذي إللي سمح لي بشرف الكلمة الختامية للمؤتمر .

مبدأيًا بعتذر إني بتكلم باللغة العامية، بس الندوة دي بتدور أصلًا حوالين الشباب، وبيتهيألي إننا لو عايزين نوصلهم رسالة يبقى نتكلم بلغة أسهل بالنسبالهم .. ف أُعذروني هخرج من النطاق الأكاديمي واللغة العربية الفصحى .

(المشكلات النفسية لشباب مصر، الأسباب والحلول) ده عنوان المؤتمر..

بيتهيألي ده مش المؤتمر الأول ولا هيكون الأخير إللي بيتكلم عن نفس الموضوع .. مؤتمرات وأبحاث وندوات وبرامج توعية، عملنا كل حاجة في الدنيا.. بس للأسف أثبتت دراسة من قريب إن المواطن المصري واحد من أكتر المواطنين إللي مُعرَّضين للإصابة بالإكتئاب .

عارفين المشكلة فين ؟ المشكلة إننا بنسأل نفسنا دايمًا هم ليه بيكتئبوا ؟ بنسأل نفسنا ايه الحل ؟ بس عمرنا ما سألنا نفسنا هو ليه الحلول ما بتجيبش نتيجة .. ليه برغم كل محاولاتنا في تحسين حالة الشباب أو الناس عمومًا بيفضلوا من أكتر الناس إللي معرضين للإصابة بأمراض نفسية .

بس عارفين ليه بنفشل ؟ عشان إحنا زي أي منظومة مصرية رافضين فكرة الخروج برة جلدة الكتاب، طالما الكلام والنظريات دي من الكتب والمراجع يبقى أكيد صح، وأي محاولة للتصحيح ما هي إلا محاولة فاشلة، ده لو ما إتحاربتش من قبل ما تبدأ أصلًا ..

النظريات إللي في الكتب صح، بس صح لأزمانها ولناسها . صح لناس كانت عايشة مرتاحة، لناس كانت حياتها أبسط كتير من حياتنا، لا النظريات القديمة بظروفها وأسبابها ونتايجها تنفع تتطبق دلوقتي، ولا نظريات إتكتبت لشعوب أوروبا وأمريكا ممكن نطبقها هنا .

المشكلة الأكبر إننا بنلوم الشباب على أخطاء مش أخطاءهم، نلوم البنت على لبسها لو إتعاكست، الأب المدخن يلوم ابنه إنه بيشرب سجاير، نضرب الولد وهو صغير ونزعل لو طلع مش واثق في نفسه ومهزوز، نربي ولأدنا بتربية

اهالينا إللي ما تنفعش لجيلهم، نخوّفهم مننا ونزعل لو ما حكولناش، نقوله إللي يضربك أضربه ونستغرب لو طلع عدواني . بنزعل أوي لو ولادنا طلعوا منطويين على نفسهم ونسينا إن الحب مش فطري ولا فرض، الحب والأمان أحاسيس لو إنت ما زرعتهاش في ابنك ناحيتك عمرك ما هتشوفها منه .. هيحبك اه، بس لمجرد إنك أبوه، مش عشان هو بيحبك بجد .

خلوني أحكيلكوا قصة ..

قصة شاب أهله ربوه كويس، علموه إزاي يكون راجل .. راجل بكلامه، بأفعاله،

راجل قوي، وعشان تكون قوي إوعى تعيط .. العياط ضعف وإنت لو ضعفت مرة هتفضل ضعيف على طول .

صاحبنا من صغره ما بيعيطش، يحصله إللي يحصله ويفضل ساكت، بس ما كانش بيتكلم، مش من النوع إللي بيعرف يوصَّل إحساسه بالكلام لا لأهله ولا لأصحابه القليلين أوي، مكنش بيثق في الناس بسرعة، ف إتعود يفضل لوحده .

صاحبنا كبر ومشاكله كبرت معاه، بس لسه زي ما هو .. ما بيعيطش .

من وجعه عرف إن المشاكل النفسية أصعب كتير من المرض العادي، وعشان كده قرر يطلع دكتور نفسي، قرر إنه مش هيسيب فرصة يساعد فيها الناس إنها تكون أحسن إلا لما هيعملها .. وفعلًا نجح بمجموع ودخل طب وإتخصص نفسي .

في الفترة دي قابل بنت، بنت قدرت تكسر كل الشروط إللي في حياته، بنت قدرت تدخل جوا دايرة الثقة الصغير أوي إللي كانت فاضية،

معاها بس عرف يعني ايه فرحة . بس كان خايف، كان خايف إنه يأذيها . كان خايف عليها من نفسه أكتر ما هو خايف عليها من الناس . كان عارف إنه صعب، وكان بيتعلم إزاي يحب معاها .. كانت مختلفة عن أي بنت قابلها، كانت قوية، واثقة من نفسها، من النوع إللي ما ينفعش تختفي ورا الراجل من غير ما تبان، بس في نفس الوقت تقدر تحسسك إنك راجلها، بتعرف إمتى تبقى حبيبتك بحبها ودلعها، وإمتى تبقى أمك بحنيتها وإحتوائها، وإمتى تبقى بنتك بدلعها وشقاوتها .. كانت بتحبه، وكان بيعشقها .

وزي الطفل الصغير بدأت تعلمه الكلام، بدأ يتكلم قدامها، يحكيلها، يقولها اللي جواه كله من غير ما يخبي حاجة، من غير ما يتكسف من مشاكله .

وبعد ما كان مقرر يعيش لوحده، شاف إن كلمة لوحده دي تشملها .. لوحده يعني بيها ومالهاش أي معنى تاني .

وفجأة، بنته الصغيرة كبرت .. بس هو مكنش قادر يشوف ده، كان لسه مقتنع إنها صغيرة، وهي ما كانتش شايفة نفسها كده خلاص . إللي كان بيحصل زمان رفضته دلوقتي، بقت مستنية حاجات تانية منه في الوقت إللي هو مكنش فاهم، أو يمكن مكنش قادر يديلها إللي كانت محتاجاه .

علمونا زمان إن أي حاجة بتنكمش بالبرودة، وهُمَّ علاقتهم بدأت تبرد، تنكمش لحد ما بقوا مش مستحملين بعض .. ولإن الملل يولد الإنفجار، مكنش ينفع يكمل في العلاقة وهو حاسس إنها مش عايزاه، رجولته ما كانتش تسمحله يحس إنه رامي نفسه عليها .

سابوا بعض، وصاحبنا رفض يعيط، رفض حتى يبين إنه تعبان، كان عايش عادي، لما كان بيتسئل عليها كان بيرد ببرود إنه مفيش نصيب، ربنا

يوفقها و خلاص . بس من جواه كان بيموت، علمته إزاي يتكلم ويآمنلها بس في نفس الوقت نسته إزاي يقدر يكون لوحده، بقى عامل زي العيل التايه، لا منه لاقي أمه ولا منه عارف يروَّح إزاي ..

مع الوقت بقى بارد، عايش يوم بيومه، إحساسه لحظي، يفرح أو يزعل في ساعتها وبعدين يرجع لنفس حالته تاني .. كل الناس لاحظت ده بما فيهم هو، بس هو مكنش جواه طاقة يغيَّر ده .. قالوله العياط بيريح، وكان نفسه يعيط بس ما يعرفش إزاي، كان بيعرف إزاي يطبطب بس عمره ما حب حد يطبطب عليه، كان شايف نفسه أقوى من كده، وهو عارف إنه أضعف واحد في الدنيا .

صاحبنا الدكتور النفساني لما حاول يطبَّق نظريات كتبه شاف إنه مريض نفسي، إللي كان نفسه يساعد الناس بقى محتاج إللي يساعده . بس هو كفر بالطب وبالكتب وبالنظريات وكابر، هو أقوى من إنه يبقى مريض نفسي، وأغبى من إنه يقتنع إن عنده مشكلة .. حتى لو كل الناس شايفاها .

خلاصة الكلام، الموضوع مش محتاج دكتور نفسي عشان يحللك مشاكلك، ممكن تروح لألف دكتور وتفضل زي مانت، وممكن تقابل حد يحتويك ويفهمك كويس، حد يقبلك بعيوبك ويحبك بجد .. فتلاقي نفسك بقيت كويس . ممكن يكون أبوك أو أمك، أخوك أو أختك أو صاحبك أو صحبتك، حبيبتك .. ممكن يكون أي حد، بس عمره ما هيكون نفسك . ماحدش بيقدر يعيش لوحده، الوحدة إنتحار .. دوَّر ع الحلو في الناس، الحلو إللي يخليك تفضل جنبهم، زي ما هُمَّ هيدوَّروا ع الحلو إللي جواك . لان

صدقني مهما كانت عيوبك هتفضل جواك حاجة حلوة إنت مش شايفها في نفسك، لازم الناس هم إللي يشوفوها .

الحب هو الحل، حب نفسك و دوَّر ع إللي يحبك وتحبه بجد، إللي يسمعلك ويشيل عنك في تعبك، إللي تشوف فرحتك في عينيه، وإللي ما تتكسفش لو شافك في ضعفك أو وإنت بتعيط.

وإوعى، إوعى مهما حصل تكتم دموعك جواك ..

" الحمد لله صاحبنا إللي ما عيطش طول حياته، عرف إزاي يعيط .. يمكن ما بتريحوش، بس أكيد لو ما إرتاحش أحسن بكتير من إنه ينفجر .. شكرًا "

قال زياد جملته الأخيرة وهو يبكي، تاركًا الميكروفون غير قادر على الحركة.. وقف الجميع البعض يصفق بحرارة والبعض الآخر يمسح دموعه التي انهمرت .

رفع زياد رأسه للأعلى، أخذ نفسًا عميقًا محاولًا إيقاف دموعه .. ثم أعطى ضهره للجمهور واختفى ..

(٦)

كانت عقارب الساعة تشير إلى التاسعة وبضعة دقائق صباحًا حينما وصلت ليلى إلى الكافيه ، إعتادت على المجيء يوميًا لإحتساء قهوتها الصباحية بعد سفر مروان منذ أسبوع تقريبًا .. دخلت ليلى لتجد المكان كعادته فارغًا إلا من ذاك الشخص الخمسيني ببذلته السوداء يحتسي قهوته وبيده سيجارته، يجلس في ركن بعيد من المكان محدقًا بالشباك بشرود .

كان أكثر ما يعجبها بهذا المكان وخصوصًا بالصباح هو رائحة القهوة الخالصة، فلا زحام من العطور ينافسها ولا دخان السجائر الكثيف يختلط بها .. فقط القهوة مع مقطوعات موسيقية هادئة تجعلك تبدأ نهارك بسعادة وطاقة كافية لإنهاء اليوم .. على الأقل .

أما اليوم، فقد اختاروا إن يبدأ اليوم على أنغام Louis Armstrong وهو يتغنَّى برائعته What A Wonderful World

- صباح الخير يا آنسة يا ليلى
- صباح النور يا إسلام
- الإسبرسو بتاعة كل يوم ؟
- اه يا ريت .. و Brownies يا إسلام ما تنساش.

جلست ليلى على طاولتها المفضلة تنظر بعينيها إلى الفراغ، لم تكن تعرف لماذا عادت إلى الظهور في هذا المكان من جديد .. فهذا المكان لم تكن تدخله إلا

مع زياد أو في وجوده، ولكن ولسبب ما فهي لم تشعر بتلك الراحة التي تشعر بها هنا في أي مكان آخر .

هل هي الموسيقى ؟ هل هو هدوء هذا المكان ؟ هل هو الديكور ؟ هل هي الذكريات .. ؟

مر أمام عينيها أول مرة تأتي لهذا المكان .. كيف تاهت في الطريق، وكيف تاهت في عينيه، ذلك الذي لم يترك فرصة لإستفزازها إلا واستغلها، وبكل تأكيد لم يعطها الفرصة إلا لتشعر بالإنجذاب نحوه منذ اللحظة الأولى ..

تتذكر كيف كانت أيزميرالدا، تلك الغجرية التي كانت فتنته، في أحد المرات سألته :

- إشمعنى إيزميرالدا ؟
- شوفتي أحدب نوتردام الأول ؟
- اه ، بس مفهمتش قصدك .
- أيزميرالدا كانت م الغجر .. والغجر دول معروفين ..
- تاني هيقولي غجر .

قالتها ليلى وهي تضربه في كتفه وتعض على شفتيها، ما جعله يضحك على تلك الطفلة الصغيرة .

- يا بنتي إفهمي، الغجريين دول كانوا مشهورين بالسحر ، هي كانت شبهك بملامحها بتفاصيلها، ولولا إني أعرفك كنت قولت إللي رسم الشخصية ده كان يقصدك إنتي .

- أيوة شكلي يعني ؟ مش عارفة ما حسيتهاش أوي .

- مش شكل بس، هي شبهك في كل حاجة، طريقتها وكلامها وشجاعتها ولماضتها

- لماضتي دي هي إللي حببتك فيا أصلًا

- هو بغض النظر عن إن لماضتك دي هتجيب أجلي .. بس أنا فعلًا بحبك من غير سبب . يعني لو في كل أسباب الدنيا إللي تخليني ما أحبكيش هفضل بحبك برضه .

سكتت ليلى ونظرت للطاولة بخدين في لون الورد وإبتسامة خجل زادتها جمالًا .

- بس عارفة يا ليلى، كل مرة بشوف الفيلم بخاف

- مني ؟

- لا .. من مصيري .

- إزاي يعني ؟

- أيزميرالدا في الفيلم بتحب الفارس، مع إن من أول الفيلم " كوازيمودو " هو إللي بيحبها، وأنا عمري ما كنت فارس يا ليلى، ولا كان يهمني إني أكون فارس في يوم من الأيام .. بس المرة دي أول مرة أبقى خايف ما أبقاش الفارس ده، أول مرة أبقى مرعوب أفضل زي مانا طول عمري .. " كوازيمودو " .

أفاقت ليلى على صوت إسلام وهو يضع القهوة و ال Brownies أمامها ، نظرت له بابتسامة خفيفة ولم تعلِّق ، ظلت ليلى تحرك الفنجان بأصابعها دون النظر إليه ..

- خدي دوقي هتعجبك ..

- ما بحبش القهوة والله ما بحبش القهوة

- عشان خاطري

أخذتها ليلى وشمَّتها في البداية، نظرت لزياد وكأنها تتوسل إليه ألا يجبرها على شرب هذا الشيء، ولكن لا فائدة .. لا بُد لها أن تتذوقها .

رفعت الكوب لشفاهها قبل أن تغمض عينيها وتبدأ في نوبة من السعال وكأنَّها تختنق ..

- حمد الله ع السلامة ..

قالها زياد وهو يضحك .

- إسكت خالص .. ايه القرف إللي بتشربه ده ؟
- هي في الأول بتبقى وحشة، بس بعد كده بتتعودي عليها وهتحبيها .
- مستحيل .
- هتشوفي ..

نعم ، لقد أحبتها .. مثلما أحبته .

كم إشتاقت أن يجلسا سويًا لشرب القهوة من جديد، أحيانًا تجلس مع مروان ليشربا القهوة، ولكن مروان لم يكن زياد ، لم يكن ذلك الشخص الذي يعشق القهوة إلى درجة القدسية، لم يكن ذلك الذي يهتم بأصغر التفاصيل في كوبه والذي وإن إختل أحدها إستطاع أن يعكر مزاجه إلى آخر اليوم، لم يكن ذلك الشخص الذي يتغزل فيها ويقارنها بكوب من القهوة ..

- بتحبني يا زياد ؟
- جدًا ..
- جدًا دي كلمة مطَّاطة اوي، قد ايه برضه ؟
- بحبك زي ما بحب كوباية القهوة دي بالظبط

- كوباية القهوة ؟

- طبعًا .. مبدأيًا أنا معرفش أبدأ يومي من غيرها .. ومش متخيل نفسي ببدأ يومي من غيرك، مجرد ما بدوقها بحس إني قادر أفكر وأكمل .. وأنا عمري ما حسيت الإحساس ده من حد غيرك، الناس إللي ما بتحبش القهوة بتقول إنها وحشة عشان مُرَّة .. يمكن ده بالنسبالهم شيء مختلف، بس أنا بحبك عشان مختلفة، عشان إنتي مش شبه أي حد . وبحبك – زي القهوة – سادة ، لإن أي حاجة هتزيد عليكوا مش هيبقى ليها أي قيمة جنب جمالكوا .. إنتِي لوحدك أحلى واحدة في الدنيا .

مثلما كانت مختلفة في عينه، كان هو أكثر الرجال اكتمالاً في عينها . فهو الوحيد من بين كل أبناء آدم الذي استطاع أن يجعلها .. تحبه .

ولكن ما فائدة الحب الآن ؟ هي متزوجة وهو خاطب .. لم تعلم لماذا و لكن إحساسها بأنه سوف يكون مع امرأة أخرى وكأنه يحرقها من الداخل .

هل ملأت مكانها هي ؟ نعم تشعر أنه لا يحبها، ولكن ماذا وإن أحبها ؟ هي أحبت مروان ، نعم لم تحبه كما أحبت زياد .. ولكن كبرياء المرأة بداخلها يرفض تمامًا فكرة أن يملأ قلبه أي أنثى سواها، هذا القلب يومًا كان مملكتها .. هذا القلب هو مَن سمَّاها " إيزميرالدا "، ولن يكون هناك أيزميرالدا غيرها .

أفاقت ليلى من دوامة الذكريات التي تاهت بداخلها على صوت إسلام :

- أستاذ زياد إزيك .

لا، بكل تأكيد ليس هو، بقدر ما تمنَّت بأنْ تراه بقدر ما تمنَّت ألا يكون هو، شعرت بالخوف حين وجدته يقترب ولكنه كان متوجهًا إلى الرجل الخمسيني خلفها، نظرت ليلى بطرف عينها لتجده يحتضنه ويجلس معه مرتباً

على يديه، ظلا سويًا لبضعة دقائق أرادت ليلى أن تغادر فيهم المكان، ولكن لم تقوَ قدماها على الوقوف .

نظرت من جديد لتجد زياد يجلس على طاولة قريبة منها، رأته كعادته، ممسكًا سيجارته يحركها على أنغام الموسيقى، منهمكًا في الكتابة .

تلفَّت زياد ليراها تنظر له، حاولت جاهدة ألا تطيل النظر إليه ولكنه رآها .. نظر لها زياد مبتسمًا إبتسامته المعهودة لتبادله الإبتسامة قبل أن يعود للنظر أمامه من جديد .

تعجبت ليلى من ردة فعله، ولكن ربما هي " نور "، ربما لا تحبه أن يتحدث مع أي امرأة أُخرى .. وبصراحة لن تلومها، فهي حينما كانت مكانها كانت تغار عليه من أي من بنات حواء .. فقط، حينما كانت .

اتخذت ليلى قرارها، وقفت واتجهت نحو طاولته حتى وقفت في مواجهته مباشرة:

- هو أنا لو ما جيتش أسلم مش هتيجي ؟

رفع زياد عينه ناظرًا إليها :

- قولت تكوني مستنية حد أو حاجة، وبعدين مش عارف مروان عادي ولا ايه وما حبيتش أعمل بينكوا مشاكل .

- مروان مش هيتضايق، هو عارفك وعارف إننا صحاب .

قالتها ليلى وهي تسحب الكرسي لتجلس، ابتسم زياد هي تجلس مكررًا :

- عارف إننا صحاب .. !

سحب زياد سيجارة من علبته حين فاجأته ليلى بالسؤال :

- زياد ممكن سيجارة ؟

- إنتي بقيتي تشربي ؟

- لا ، بس عايزة سيجارة

- لا طبعًا، يعني ما رضيتش أديهالك زمان، ايه هيخليني أديهالك دلوقتي؟

- معلش واحدة بس .. ما تبقاش رخم

وبدون مقدمات سحبت ليلى العلبة من أمامه واضعة سيجارة في فمها لتشعلها .

- قولي صحيح مين الراجل إللي كنت قاعد معاه ده ؟

- ده أستاذ عبد الله، صاحب شركة إستيراد وتصدير وبييجي هنا الكافيه كل يوم، كان بييجي هو ومراته الله يرحمها سوا وبيفضلوا يرقصوا على نفس الترابيزة إللي هو قاعد عندها دي .

- الله يرحمها ..

- شوفتهم مرة بيرقصوا هنا وقعدت معاهم ، من يوم ما ماتت وهو بييجي هنا يقعد على نفس الترابيزة ويخليهم يشغلوا Louis Armstrong عشان هي كانت بتحبه .

- ربنا يريح قلبه .. شكله كان بيحبها .

نظر زياد لليلى طويلًا قبل أن يقول :

- أوي ..

حاولت ليلى تغيير الموضوع :

- أخبار الماجستير ايه ؟

- الحمد لله خلصته .

- ايه ده ! مبروك، في ستوكهولم برضه ؟
- اه هي
- طب يلا يا سيدي عقبال الدكتوراه
- آمين يا رب. قوليلي إنتي عاملة ايه ؟
- أهو الحمد لله مفيش جديد، كل يوم نفس الكلام .. بس بدأت أعمل ديزاينات الفساتين إللي كان نفسي أعملها
- طب ما فكرتيش تنفذيهم أو تكبري الموضوع ويبقى مشروع ؟
- والله يا زياد مش عارفة، أوقات بحس إنه اه نفسي أعمل كده، وأوقات بحس إنه لا شغلي مش حلو للدرجة .
- طبعًا مش محتاج أقولك رأيي عشان إنتي عارفة أنا رأيي ايه في شغلك من زمان، بس أنا هقولك إن حلمك فعلًا يستاهل إنك تكملي فيه .

قاطعهما إسلام وهو يحضر القهوة إلى زياد .. أشعل زياد سيجارته، ومع أول رشفة من القهوة أغمض عينيه متلذذًا بكل نقطة تلمس شفتاه قبل أن يتمتم " صباح الخير " .

ضحكت ليلى على طريقته ..

- ما إتغيرتش خالص يا زياد
- وعمري ما هتغير ع القهوة أبدًا .. قوليلي صحيح، أخبار مروان ايه ؟

سكتت ليلى وكأنها صُدمت من السؤال ..

- كويس الحمد لله
- هو مش جاي ؟
- لا مسافر تبع الشغل ..

- اه . ربنا يوفقه .
- وإنت عامل ايه مع نور ؟
- الحمد لله
- أيوة ما إختلفناش ، الحمد لله بس الحمد لله ايه ؟

سحب زياد نفسًا من سيجارته قبل أن يرد وهو ينفث الدخان :

- كويسين .
- وليه بتقولها وإنت مش مبسوط ؟
- فاكرة زمان أول مرة شوفتك ؟ ساعتها قولتلك إن أحيانًا الدنيا بتجبرنا نتحول من مبسوطين لراضيين . بيتهيألي أنا إتعلمت إزاي أكون راضي .
- وإنت ايه إللي ما يخليكش مبسوط ؟ خلصت ماجيستيرك وشغال وخاطب بنوتة زي القمر، ايه إللي يخليك مش مبسوط ؟؟
- في فرق بين إنك تنجح وإنك تحلم يا ليلى، النجاح ده مش ضروري يكون في حاجة بتحبها أو نفسك فيها، يعني إنتي مثلًا خريجة حقوق والحمد لله نجحتي فيها .. بس دلوقتي قررتي تحققي حلمك وتعملي تصاميم فساتين .. في حقوق أكيد كنتي راضية عن نجاحك ، بس أكيد ما حسيتيش بالفرحة غير لما بدأتي تحققي حلمك .
- وإنت بقى حلمك ايه ؟
- أنا بطلت أحلم يا ليلى، بطلت أتمنى أي حاجة .. أنا كل إللي طالبه إني أنجح، أنجح في حياتي، في شغلي، مش مهم ده إللي كان نفسي فيه ولا أسوأ الإختيارات ... المهم إني أنجح فيه .
- ليه كده ؟ ده إنت إللي علمتني إزاي احلم ..

- عشان الحلم على قد ما هو كبير بالنسبالك على قد ما قادر يكسرك، انا عمري في حياتي ما حلمت بحاجة واتحققت يا ليلى .. كان زمان نفسي اطلع لعيب كورة وما حصلش .. كان نفسي أعرف أرسم، ومن بين كل المواهب في الدنيا الوحيدة إللي فشلت فيها كانت الرسم ، بس كل ده كان عادي و كنت قادر أعدِّيه .. بس المرة الوحيدة إللي حلمت فيها حلم وكنت طاير بيه السما هي المرة الوحيدة إللي وقعت فيها على جدور رقبتي، كانت أول وآخر مرة أحس إني لما خسرت حلم ووقعت إتكسر .. وأنا مش مستعد أتكسر تاني يا ليلى .

سكتت ليلى وهي تنظر إليه مباشرة، فهي تعلم أنها كانت الحلم، هي مَن كانت جناحين ترفعه إلى السماء السابعة وحينها توقفت عن التحليق لتسقط به إلى الأرض ..

- بس بيتهيألي ربنا عوَّضك بالأحسن ..

- الأحسن ؟ من وجهة نظر مين ؟ الأحسن ده المفروض يكون في عيني أنا .. هي فعلًا بنت كويسة وجميلة، بس هي عمرها ما كانت ولا هتكون إنتي يا ليلى .

لم تجد ليلى الكلمات المناسبة واكتفت بالنظر للطاولة وهي تحرك ولاعته يمينًا ويسارًا، نعم كانت تعلم أنه يقصدها، نعم كانت تتحدث عن نفسها حين أخبرته أن الله قد عوَّضه بالأفضل، ولكن لم تكن تملك القدرة على الحديث عن الموضوع بهذه الصراحة .. لن تقدر على الوقوف أمامه بعدما حاولت جاهدة طوال تلك الفترة أن تتجنبه، فهو – ومهما حدث – سيظل .. حبيبها.

حاولت ليلى استجماع شجاعتها لتقول :

- بيتهيألي إن الموضوع ده خلص من زمان يا زياد، وكل واحد مننا شاف طريقه .

- صح ، بس هل ده معناه إننا شفنا طريقنا إللي كنا مختارينه زمان ؟

- أنا إخترت مروان ..

- متأكدة إنك إخترتيه يا ليلى ؟

- يعني ايه ؟

- أصل لو إخترتيه ايه إللي خلاكي تقعدي معايا دلوقتي ؟ وايه مخليكي لحد النهاردة لسه لابسة السلسلة إللي جبتهالك ؟

وضعت ليلى يدها على صدرها ممسكة بالزمردة الحمراء .. نعم لقد كانت آخر ما يربطه بها، كانت آخر وسيلة لتشعر بوجوده .

حاولت ليلى إيجاد رد مناسب، فزياد وكأنه يمطرها بالكلام بدون أن يعطيها الفرصة حتى للرد ..

- عشان إحنا صحاب

- صحاب ؟ من إمتى يا ليلى كنا صحاب ؟ إحنا عمرنا ما عرفنا نكون صحاب .. لو عرفتي؛ أحييكي على ده، بس أنا عمري ما عرفت ولا هعرف أشوفك غير حبيبة، عقلي رافض يقبل إنك مش ليا، رافض يشوفك أي حاجة غير إيزميرالدا .

- ولنفترض إنه صح الكلام .. ده مش هينفع، إحنا كده بنجرح ناس تانية بيحبونا لمجرد إننا بنحب بعض بس إخترناهم .

- وهو ايه إللي كان يصح وحصل يا ليلى ؟ إني يوم ما أحب فعلًا تسيبيني ؟ إني أشوفك في فستان فرحك جنب راجل غيري ؟ إني أبقى عارف إنه بيحبك، بيرجع البيت يلاقيكي قدامه ؟ إني أبقى عارف إنكوا بتاكلوا وتشربوا وتناموا سوا ؟ أبقى عارف إن في يوم من الأيام هيبقى ده أبو ولادك ؟

أنا آسف يا ليلى .. بس مش كل إللي يصح بيحصل، بيتهيألي إللي ما بيصحِّش بس هو إللي بيحصل، وأنا مضطر أقبله لأن هو ده الوضع .

- بس يا زياد .....

- مش بس يا ليلى، أنا عمري ما عرفت أشوفك صاحبة .

أنا كل يوم بنام بحلم بيكي، بحلم بتفاصيلنا وكل لحظة عيشناها سوا، بس الفرق إني كل مرة ما بقولكيش غير ليه، ليه بعدتي ؟ ليه هتسيبيني لوحدي .. كل مرة بمسك فيكي زي العيل إللي خايف يتوه، وكل مرة بتمشي ..

أنا عمري ما هعرف أشوفك صاحبتي يا ليلى .. أنا من يوم ما شوفتك وأنا عارف إنك غير أي حد عدَّى عليا، عارف إنك الوحيدة إللي دخلتي مكان جوايا عمر ما حد دخله ولا هيدخله .. إنك أكتر حد في الدنيا إتعلقت بيه وإستقويت بيه، وأكتر حد في الدنيا كسرني .

بس عارفة المشكلة فين ؟ المشكلة إني وبرغم كل ده مش قادر أبطل أحبك يا ليلى، مكانك في قلبي لسه زي ما هو .. وهيفضل زي ما هو لحد ما أموت، محدش في الدنيا هيقدر يعوضه .. عارفة، أنا لحد النهاردة مش قادر أقول لنور كلمة "حبيبتي" ، بحس نفسي كداب وأنا عمري ما حبيت الكدب، الكلمة دي ربنا خلقها بالنسبالي عشان تتقالك إنتي وبس يا ليلى .. إنتي وبس .

حاولت ليلى جاهدة كتم كل تلك الدموع بداخلها، ولكن اللعنة على تلك الهاربة التي أفلتت من بين جفنيها لتسير ببطء على خدها ..

- ومين قالك يا زياد إني بطلت أحبك ؟ بس أنا خوفت .. خوفت وأنا ما إتعودتش إني أخاف، أنا عمري ما كنت ضعيفة وعمري ما شوفت نفسي ضعيفة غير معاك .

- ودلوقتي مبسوطة ؟ كان بينَّا مشاكل ؟ اه .. أي اتنين ممكن يبقى بينهم مشاكل، بس أنا كنت كل مرة بقول هتتحل .. مهما زعلت منك كنت عارف إنه إحنا لبعض، وإن كل المشاكل هنعديها سوا .. لكن عمري ما حطيت فكرة إننا نبعد دي كإختيار متاح . المشكلة يا ليلى إنك لما بعدتي أنا توهت، لا بقيت عارف أرجع مكان ما بدأت .. ولا عارف أكمل الطريق للآخر .. خليتيني لعنت قلبي ألف مرة إنه حبك أوي كده، وألعنه مليون مرة لو بطل في يوم يحبك لحظة .

- أنا مكنتش عارفة أكمل يا زياد، مكنتش هقدر .. وكنت دايمًا بتجنب أي مواجهة بيني وبينك، بخاف أضعف تاني .. يمكن في الأول كان ينفع بس دلوقتي في مروان وأنا بحبه ..

- بتحبيه ممكن .. لكن تبقي كذابة لو قولتيلي إنك بتحبيه قد ما حبتيني.

- كفاية يا زياد ..

- ما هو كفاية فعلًا يا ليلى .. كفاية وجع، بس عشان أنا غبي فعلًا ... قد مانا مكسور منك على قد مانا مبسوط إني قاعد معاكي .. على قد مانا نفسي أقولك أمشي على قد ما نفسي آخدك في حضني .. على قد مانا عارف إنه ما

ينفعش على قد ما نفسي أقولك نهرب بعيد، بس كله ما ينفعش يا ليلى .. كل ده ما ينفعش؛ لإن زي ما قولتي حاجات كتير إتغيرت ..

أنا خلاص يا ليلى عارف سكتِّي ايه، عارف إننا مش هنبقى لبعض ومتعايش مع الوضع .. بس الفرق بيني وبينك يا ليلى إني ما بضحكش على نفسي، ما بقولش إني إخترت طريق أنا عمري ما إخترته، ولو كان الطريق ده متاح وإنتي موجودة عمري ما كنت هختاره زي ما بيتهيألي إنتي كمان ما كُنتيش هتعملي كده .. الفرق إني متصالح مع فكرة إني لسه بحبك في الوقت إللي إنتي بتحاولي تموِّتي الإحساس ده جواكي كل يوم ..

- عشان أنا مش خاينة يا زياد، تفتكر إحساسهم هيكون ايه وهُمَّ عارفين إننا بنحب ناس غيرهم ؟ ..

قالتها ليلى وهي تطلق العنان لدموعها

- إنتي بتحبيه وأنا بحبها .. بس ده مش معناه إن حد هيعرف ياخد مكانك جوايا، مكانك ده أكبر بكتير أوي من إن أي حد مهما كان يقرب منه .. المشكلة إن قلبي زي حياتي بالظبط فضيوا بعدك، حاولت أعمل زيك و أملاهم بس فشلت .. أنا فعلًا بحيِّيكي على ده، بحييكي إنك أقوى بكتير مني .

نظر زياد لليلى، حرك يديه ليمسح دموعها، وحينها أغلقت ليلى عينيها وكأنها قد استسلمت لإحساس الدفء، أمسكت كفا يديه تقرِّبهما من خدها أكثر لتشعر معها أنها أخيرًا قد وجدت ضالتها .. كم اشتاقت لتلك اللمسة، لذلك الإحساس بالأمان الذي لم ولن تشعر به مع غيره ..

- أنا بحبك يا زياد ..

- عارفة، دي أول مرة ما أبقاش عارف أرد على الجملة دي ..

قالها زياد وهو يبتسم موجِّهًا نظره لعيني ليلى مباشرة، متمنيًا أن تستطيع قراءتها في عينيه .

بدأ زياد في لملمة هاتفه وعلبة السجائر معلنًا عن رحيله ..

أمسكت ليلى بيده بقوة وكأنها تتمسك بآخر أمل لها في البقاء على قيد الحياة ..

- أرجوك ما تمشيش ..

- ما ينفعش يا ليلى .. المرة دي أنا إللي خايف أضعف . أنا مش مستعد أتعلق بأمل تاني يا ليلى، مش مستعد أتعلق بيكي تاني وأنا عارف إنك مش ليا ..

سحب زياد يده من يد ليلى، نظرت له والدموع تنسال بسلاسة على خدها تشق طريقًا من الوجع والخوف، وقف زياد أمامها طابعًا قبلة على جبهتها .. ثم أدار ظهره لها وإتجه للباب تاركًا ليلى وحيدة في المكان .. تمامًا كما تركته في المرة الأولى، ولكن هذه المرة هي مَن شعرت بالضعف، هي مَن تأكدت أنها لن تستطيع – مهما حاولت – أن تزيحه من تفكيرها أو أن تسكن قلبها غيره ..

نعم أحبته، ولن تحب غيره أبدًا .

ركب زياد سيارته لا يعلم إلى أين، تائهًا بين الطرقات، بين رغبته في العودة إليها وبين الصواب .. اللعنة على تلك الظروف التي تجعل من احتوائها بداخل حضنه خطأً، اللعنة على الظروف التي تجعل من فراقهما أمرًا حتميًا، اللعنة على الحياة التي دائمًا ما ترفض أن تكون النهاية سعيدة .

عاد زياد إلى البيت مُحاطًا بنظرات أبيه القلقة التي قابلها بإبتسامة وقبلة حانية على جبينه قبل أن يدخل غرفته ويُغلق بابها عليه، ألقى بجسده على السرير مقاومًا صورتها التي كانت أمام عينيه أينما ألقى بنظره .

كانت محاولات نومه متضطربة، متقطعة، مملوءة بأحلام عنها .. تارة يرى نفسه معها في فرحهما الذي لا طالما حلما به، كان يقف أمام البحر الذي ؛ ولِتحيّتهما ازدادت مياهه زرقة وصفاء، من خلفه كانت الزهور البيضاء المفضلة لديها والتي اكتست بها الرمال راسمة الطريق إلى المكان الذي يقف فيه ... وأمامه إصطف المدعوين على كراسيهم .

أما في الخلفية فكانت الفرقة الموسيقية تلعب إحدى مقطوعات السوناتا التي رقصا عليها لأول مرة .. ثم جاءت هي ممسكة بذراع أبيها .. بفستانها الأبيض المنقوش بالورود الصغيرة الذي كشف عن كتفين رقيقتين، وطرحتها التي تغطي وجهها ولم تداري تلك الإبتسامة على شفتيها، كانت كما لطالما تخيلها .. ملاكًا يمشي مُتَّجهًا إليه .

يقف ناظرًا إليها وكأنَّ كل مَن في المكان قد إختفوا ولم يتبقَّ سواها، تقترب منه .. فتزداد ضربات قلبه وكأنَه يرقص بداخله، وصلت أمامه مودِّعة أبيها .. محتضنةً إياه .. ماسحة دموعه التي هربت من عيناه، فها هو سيترك محبوبته الصغيرة ترحل عنه، لأول مرة ستبيت في بيت ليس بيته، لأول مرة سيسيقظ ليلًا ليجد غرفتها فارغة بدونها، سيتركها ترحل إلى رجل آخر .. تلك الفرحة الممزوجة بالغيرة، و الألم .

تتجه نحو زياد الذي يمد يده إليها ليمسك بيدها، ولكنه يجد يد أخرى تمتد من خلاله، تمسك ليلى بتلك اليد .. لينظر زياد خلفه ليجد أنها تمسك

بيد مروان، تقف أمامه بعينين مملوءتين بالفرحة، يصرخ زياد ولكن بلا صوت، يحاول أن يدفع مروان بعيدًا، أن يخنقه، أن يهرب بعيدًا، ولكن وكأنَّ قدميه قد رُبطت بالأرض مانعةً إياه من الذهاب قبل أن يتمزَّق قلبه تمامًا ..

ثم يتغير المشهد، يجد نفسه في الكافيه على الطاولة مع شريف ومروة، يحاول التأكُّد هذه المرة أنَّه موجود .. فيتحدث مع شريف الذي يجيبه، ثم تدخل هي، مرتدية قميصها الأسود .. تاركةً شعرها المموج ورائها يطفو وكأنَّه موج البحر، يمد يده ليسلم عليها، فتبتسم وتبادله السلام، تجلس أمامه مباشرةً ... فتبدأ مروة بالكلام :

- زياد صاحبي أنا وشريف من زمان، ليلى صاحبة عمري .

ابتسم زياد قبل أن يرد شريف :

- معلش يا ليلى والله كان نفسي أحضر الخطوبة، بس أكيد مروة قالتلك الشغل كان عامل إزاي .

تبدَّلت الإبتسامة على وجه زياد الذي قاطعه :

- إنتي مخطوبة ؟

- اه

أحس بأنَّ قلبه يسقط من جسده، يسقط إلى هاوية ليس لها قاع حين بدأت الصورة في التلاشي، ثم كانت هي مجددًا، فقط تنظر له وتبتسم ..

- ليه يا ليلى ؟ ليه ؟

قالها زياد وهو يبكي بجسد هزيل يهتز كبكاء الأطفال، لم تتبدَّل الإبتسامة من على وجهها وما أن اقتربت منه شيئًا فشيئًا حتى إحتضنته .. مما زاد من بكاؤه ومن سؤاله الذي ظل يردده بلا توقف حتى فتح عيناه ..

وجد المخدة مُبتلة وكأنه كان يبكي أنهارًا من الدموع .

نظر زياد إلى ساعته فوجدها تشير إلى العاشرة وبضع دقائق، قام متجهًا إلى الحمام ليقف تحت المياه المنهمرة على جسده؛ علَّها تبرد تلك النار المستعرة بداخله، علَّها تغسله من خطايا تعلُّق قلبه بها، علَّها تمحي صورتها من رأسه ..

ولكن كيف للماء أن يمحُو شيئًا حفر في ثنايا قلبه ؟ كيف له أن يزيل آثارًا قد إمتزجت بدمائه ؟ كيف له أن يزيح ذكريات يراها أينما ذهب ؟

خرج زياد مرتديًا ثيابه لا يعرف وجهته، يريد الهروب فقط ..

ظل يتجوَّل بسيارته حتى وجد نفسه على الكورنيش، في نفس البقعة التي وقف فيها مع والده يوم زفافها، ذلك المكان الذي أخبره والده أنه كان يجلس فيه هو ووالدته ..

كانت الساعة تشير إلى منتصف الليل حين خرج زياد من السيارة وبفعل البرد والشتاء كان المكان شبه خاليًا .

وقف زياد لدقائق لم يحصها ناظرًا للماء بلا هدف، ثم أشعل سيجارته لينفث دخانها حين إنفكَّ لسانه .. :

" إزيك يا أمي .. عارفة، يمكن ما كنتش بقولهالك كتير زمان بس إنتي وحشتيني أوي، وحشني حضنك إللي كان يساع الدنيا كلها، معرفش كنت أنا إللي بتطمن جواه ولا إنتي إللي بتطمني بيا وأنا فيه .. بس متأكد إني محتاجه . يمكن زي حاجات كتير أوي ما بنعرفش قيمتها غير لما تروح، بس واجعني أوي إنك رُحتي .

كان نفسي أقولك بحبك، كان نفسي أبوس إيدك ورجلك كل يوم ، كان نفسي تبقي هنا يا أمي ..

عارفة يا أمي .. من يوم ما رُحتي وأنا زاهد الدنيا، ما بقاش ليا نفس في أي حاجة، حتى الحاجات إللي كنت بحبها زمان بقت عادية، كل فرحة بقت ناقصة ضحكتك، كل مشكلة بقت ناقصة إيدك الحنينة إللي بتطبطب، البيت بقى وحش أوي من غيرك، بصراحة بابا مش مقصَّر في أي حاجة ..

بالعكس هو بيعمل كل حاجة عشان يحسِّسني إني مش لوحدي، بس جوة كل واحد فينا كلام مش قادر يقوله، دموع بنبص لبعض وإحنا شايفينها وبنداريها .. بنضحك عشان ما نضعفش، الدنيا بعديكي باهتة يا أمي .. دبلانة..

إللي مصبَّرني إني عارف إني لما أموت يمكن هشوفك، يمكن ساعتها هحضنك، يمكن ربنا يسامحني ويخليني أدخل الجنة حتى لو هدخل بس أزورك وأمشي تاني .

ابنك إتخرَّج يا ست الكل، بقى دكتور أهو زي ما كان نفسك تشوفيه، عايزك بقى في الجنة تتباهي بيَّا وتقوليلهم أنا أم الدكتور ..

أه صحيح مش أنا خطبت ؟ واحدة كده بنت حلال وزي القمر، بتحبني أوي يا أمي .. ولو كنتي شوفتيها كنتي أكيد هتحبيها زي ما بابا بيحبها بالظبط، فيها من ملامحك بس هتفضلي في عيني انتي أحلى واحدة يا ست الستات .

بس بصراحة أنا مش عارف أنا بحبها ولا لأ، هي طيبة وبنت ناس وأنا مرتاح معاها، بس مش عارف أنا بحبها ولا لسه مش قادر أنسى ليلى ..

إنتي فاكرة ليلى يا ماما صح ؟

عارفة، من بعد ما روحتي ليلى دي جت تطبطب على قلبي، جت تلصَّم روحي إللي إتكسرت بعديكي، كانت حلوة أوي يا ماما لدرجة حسِّستني إن إنتي

إللي دعيتي ربنا إني أقابلها .. بس مشيت، مشيت وخدت معاها إللي باقي جوايا من روح .

هي ما فضلتش ليه ؟ ليه مكتوب علينا إنّ كل حاجة نتعلق بيها تروح ؟ ليه لازم نرضى بالأمر الواقع والمكتوب إللي دايمًا ناقص ؟ ليه لازم نرضى بالمفروض مش المرغوب ؟ ليه مكتوبلي أعيش بخسر ما بكسبش ؟

ما تسألي ربنا يا ماما .. إنتي مش جنبه .. ؟

قوليله ليه ؟ السؤال مش حرام يامًا، الحرام بجد هو الوجع إللي بينهش في قلبي ليل نهار من غيرها، الحرام بجد الروح إللي بتموت ألف مرة في اليوم من غيرها، يعني عايزة تقوليلي إني أشوفها لراجل غيري بتحبه وقابلة إنها تعيش معاه بعد ما كانت ليا، ده حلال ... وكلمة ليه هي إللي حرام ؟

أنا فاكر كويس إنك قولتيلي ربنا دايمًا بيكتبلنا الخير .. بس ليه ما كانتش هي الخير ؟ ليه أقابلها وقلبي يتعلق بيها وبعدين تمشي ؟

منا كنت لوحدي يامًا، ما كنتش عايز حاجة ولا عايز حد، كنت عايش راضي بالحال وما بتكلمش، ليه تيجي تصحيني؟ عشان تموتني بالبطيء ؟

هو ده الحلال يا أمي ؟ هي دي الرحمة إللي دايمًا كنتي بتقوليلي عليها !

والله يا حبيبتي أنا ما بقيتش عارف أنا عايز ايه، ما بقيتش عارف أنا نفسي آخدها في حضني وأهرب جواه ولا نفسي أهرب منها، ما بقيتش عارف أنا نفسي تبقى ليا ولا إتعودت على فراقها، ما بقيتش فاهم أنا بحبها ولا لا ..

أنا تايه يا أمي، ضايع من غيرها ..

حاسس إن ربنا شال البنات كلهم من عيني عشان ما يفضلش غيرها، بس المشكلة إنّ صورتها دايمًا جوايا ما بتفارقش صورة جوزها،

ما تخافيش .. ابنك عارف الصح م الغلط وعمره ما هيوقَّع بين اتنين متجوزين، بس أنا تعبان يا أم زياد، تعبان ومش عارف أشكي لمين غيرك .

إنتي حاسة بيا صح ؟ أنا مش عارف أقول ايه .. بس أنا عارف إنك حاسة بيا، عارف إنك سامعاني وشايفاني ..

أمانة عليكي يا ست الكل إدعيلي، خليكي جنبي و ما تسيبينيش ..

بابا بيبعتلك السلام كل يوم، أكيد بيوصلك .. بس برضه أنا عايز أوصلهولك بنفسي، وبيقولك إنه بيحبك أوي .

وأنا كمان يا أمي بحبك، بحبك أوي ..

خدي بالك من نفسك يا ست الكل، وخدي بالك مني ..

ابنك مهما كبر هيفضل العيل الصغير إللي كان بيجري عليكي في كل وقت..

سلام يا حبيبتي . "

وقف زياد رافعًا رأسه للسماء مبتسمًا، قبل أن يطفيء سيجارته ويعود لسيارته مُتجهًا للبيت.

(٧)

- صباح الخير يا حبيبتي ، يلا قومي أنا عاملك الفطار .

فتحت ليلى عيناها على قبلة حانية من مروان لمست جبينها، لتبتسم له قبل أن يكمل وهو مُتجهًا للمطبخ :

- قومي إغسلي وشك يلا بسرعة، أنا واقع م الجوع ومش هاكل من غيرك .

مرت دقائق قبل أن تقوم ليلى من سريرها لتقف أمام المرآة ، ملامحها التي لم تتغير كثيرًا وإن كانت قد خسرت بعض الوزن بسبب قلة إهتمامها بالأكل في الفترة الأخيرة، ووجهها الذي أصبح خاليًا من التعبير في معظم الأوقات ..

تنظر إلى صدرها المزين بالزمردة الحمراء التي لم تجرؤ على خلعها أبدًا، فربما هي الشيء الوحيد المُتبقِي من زياد، احتضنتها بيدها وكأنَّها تخشى أن تخسرها كما خسرته يومًا ما ..

قامت ليلى لتغتسل، ثم دخلت المطبخ لتجد مروان يجلس في انتظارها بعد أن أعدَ لها الفطور وكوب النسكافيه الصباحي مستقبلاً إياها بإبتسامة :

- ده يا ريت كل الناس لما تصحى تبقى حلوة كده والله .

ضحكت ليلى :

- حلوة فين بس ؟ ده أنا بالبيجاما وشكلي غريب خالص

- برضه هتفضلي في عيني أحلى واحدة في الدنيا

أمسك مروان بيدها مُقبِّلًا إياها وهي تجلس لتبتسم ليلى بخجل، مر الفطور وهما يتبادلان الحديث، أخبرها ببعض المواقف في عمله .. بينما هي لم تمتلك الكثير لتخبره به، فمنذ رحيله وبعد أن قابلت زياد لم تخرج من المنزل إلا للضرورة، فقط زيارات قليلة من أمها أو مروة، أما هي فأهملت تصاميمها وقضت مغظم وقتها في السرير أمام التلفاز الذي لم تكن حتى تنتبه إليه كثيرًا.

- إنتي عارفة إنك وحشتيني ؟

- وإنت كمان وحشتني اوي

- أنا عارف إني مقصَّر معاكي، بس والله مش بإيدي، لكن النهاردة بقى أنا عازمك ع الغدا برة.

- ما تخلينا في البيت يا مروان، أنا اليومين دول مش قادرة أخرج خالص.

- مالك يا حبيبتي ؟ تعبانة ؟

- لا بس حاسة نفسي مجهدة شوية، ومالیش تقل ع الخروج أوي.

- إحنا بقالنا كتير ما خرجناش، وأنا نفسي أخرج معاكي، والصراحة أنا مش هقبل أسمع لا خالص يعني، ف انا عايز القمر بقى يلبس فستان حلو كده عشان أنا محضَّر لليوم ده من بدري ماشي ؟ ماشي إتفقنا.

لم يترك مروان لها فرصة الرد ، فإبتسمت مُعقِّبة : ماشي .

إنتهيا من تناول الفطور، فقامت ليلى لتأخذ الأطباق لتنظيفها قبل أن يمسك مروان بيدها :

- لأ، انتي النهاردة ما تعمليش حاجة خالص، سيبيلي الحاجة دي أنا هعملها.

- أنا هحطهم في غسالة الأطباق أساسًا .. مش هعمل حاجة يعني.

- حتى لو، إقعدي إرتاحي وأنا هغسلهم، وشوفي بقى غسيلي ولا غسيل الغسالة دي.

أخذ مروان الأطباق ليغسلها، وجلست ليلى تشاهده مستمعين إلى فيروز سويًا، كان مروان لا يترك فرصة ليُعبّر فيها عن حبه لها إلا واستغلها، كان يهتم بتفاصيلها الصغيرة التي ربما لم تكن هي تلتفت لها أصلًا، يُدلِّلها وكأنها ابنته، ويهرب إليها كطفلٍ صغيرٍ يهرب إلى حضن أمه، يعود إلى المنزل بإبتسامة لا تفارقه بمجرد أن يراها مهما كان متعبًا، حتى في المشاكل التي يمرَّان بها .. لا تتذكر أنه رفع صوته عليها، بل كان يأتي ليصالحها " ما هو أنا مش متعود إني أنام وإنتي مش في حضني " ..

كان مثاليًا في كل شيء، لكنه لم يكن "زياد".

أنهى مروان غسل الأطباق، وجلسا يشاهدان التلفزيون سويًا .. ثم دخل مروان ليستحم إستعدادًا للنزول، إختار مروان بدلته الرصاصية بقميص أبيض وربطة عنق سوداء، أما هي فدخلت لتفتش في فساتينها لتختار في النهاية فستانًا أزرقًا داكنًا بأكمام قصيرة .. ذات قماشة شفافة مطرزة بالورود، وتركت شعرها ينساب خلفها، وضعت من العطر الذي أهداه لها مروان مع لمسات خفيفة من المكياج الذي اختارت أن تتزيَّن بأحمر شفاه يتماشى مع الزمردة في رقبتها.

بعد نصف ساعة وصلا إلى أحد المطاعم الكلاسيكية الشهيرة ذات البوابات الخشبية، والتي توحي بأنك في طريقك لدخول إحدى الأماكن الملكية بلندن ..

إكتست الحوائط بلون بيج متماشيًا مع الأرضية الخشبية، ومزينة بتلك المصابيح التي تضيء المكان بضوء خفيف على استحياء، استقبلهما النادل بإبتسامة ترحيب ليرشدهما إلى طاولتهما ليجلسا، كانت عيناها تجوب المكان متأملة إياه لفترة قبل أن تلتقي عيناها بعيني مروان الذي كان ينظر لها مبتسمًا :

- كنت عارف إنك هتحبي المكان، أنا عارف إنك بتحبي الحاجات الهادية دي

- أنا بحب الحاجات الكلاسيك جدًا.

- منا عارف.

- يا سلام، و عارف إيه كمان ؟

- عارف إنك أحلى ست في المكان كله.

إبتسمت ليلى في خجل قبل أن يمسك مروان بيدها مُقبِّلًا إياها ..

إختارا الطعام وإنتظراه وهما يتحدثان على أنغام مقطوعات شوبان، حديث لم يخلُ من نظرات مروان التي ركَّزت في عينيها مباشرة معلنان استسلامه لتلك الفاتنة أمامه، والكثير من كلمات المدح في جمالها الذي لم ولن يرى غيره أبدًا .

بعد أن أكلا إستأذنها مروان للقيام للحظات، ظلت فيها تتأمل المكان وهي تشرب قهوتها.

رأت مروان يتحدث مع النادل قبل أن يعود ليقف أمامها :

- أنا عارف إنك بتحبي المزيكا دي، ودي أول مرة ليا بصراحة أعمل كده.. بس تسمحيلي بالرقصة دي ؟

قالها و هو مادًّا يده لها لتمسك بيده وليرقصا ..

- عارفة يا ليلى، أنا عمري ما كنت أتصور إني ممكن أحب واحدة الحب ده كله

- بس إنت كنت تعرف بنات كتير يعني .. ما حبيتهمش ليه ؟

- معرفش، أنا فعلًا معرفش ايه خلاني أحبك أوي كده، لو قولتلك سبب أبقى كذاب .. بس أنا إللي أعرفه إني فعلًا بحبك وعمري ما حسِّيت إني مبسوط غير وأنا معاكي .

ابتسمت ليلى له قبل أن يكمل ..

- أنا عارف إني يمكن مش راجل مثالي، بغيب كتير وبسيبك وأكيد فيا عيوب .. بس كلنا بشر وأنا على قد ما أقدر بحاول أكون أحسن عشانك، مش هخبي عليكي .. أنا زمان مكنتش كده، كنت أوحش بكتير .. بس إنتي جيتي خليتيني أحسن، خليتيني لأول مرة أبقى عارف أنا عايز إيه .

- بس أنا مش حلوة كده يا مروان، أنا كمان فيا عيوب .. ويمكن أنا إللي مش عارفة أبيّن لك حبي ليك ..

- وأنا مش محتاجك تبينهولي، أنا مش عايز غير إني أشوفك مبسوطة، مش عايز غير إني أرجع البيت كل يوم أشوفك ..

عارفة، أنا أكتر وقت بحس إني عملت فيه حاجة حلوة هو لما بعمل حاجة أشوفك بتضحكي بسببها، ساعتها فعلًا بحس إني ليا قيمة .

سكتت ليلى ، ليكمل:

- بحكم شغلي إتعودت ما أخافش لأنه ما ينفعش أخاف، بس أنا ما بقيتش بخاف من أي حاجة قد إني أصحى ف يوم من النوم وما ألاقيكيش جنبي، على قد منا ما إتعودتش أخاف .. على قد منا مرعوب إني أخسرك يا ليلى .

أخفت ليلى رأسها بحضنه قبل أن يُقبِّل رأسها ويكمل .. :

- أنا بحبك أوي يا ليلى
- وأنا كمان بحبك يا مروان
- إوعي تمشي وتسيبيني، أنا فعلًا ماليش غيرك
- إنت إللي ما تسيبنيش يا مروان، إنت مش عارف أنا من غيرك كنت حاسة بإيه، أنا مطمنة بوجودك .
- أوعدك إني هفضل موجود، وهفضل عايش بس عشان أسعدك، أوعدك اني عمري ما هاجي عليكي أبدًا مهما حصل، إني هبقى راجلك مش هبقى راجل عليكي، وإني هعيش بحبك لحد ما أموت .

لم تتمالك ليلى نفسها لتفلت من عينيها دمعة قبل أن يمسحها مروان بيديه طابعًا قبلة حانية على خدها ..

- مالك يا حبيبتي ؟
- أنا خايفة يا مروان، خايفة أحس إني ما أستاهلكش، والإحساس ده جوايا بقاله كتير، مش عارفة أعبَّرلك إني بحبك ودايمًا حاسة إنك بتحبني أوي بشكل أنا ما أستاهلش أتحب بيه .. أنا يمكن مش حلوة اوي زي مانت شايفني..
- إنتي أحلى ست في الدنيا يا ليلى ..

- لا يا مروان، أنا مش أحلى ست في الدنيا، أنا مش حلوة .. أنا جوايا حاجات كتير أوي وحشة .. ويمكن ما أبقاش الست الحلوة إللي في عينك دي، جوايا كل حاجة وعكسها، بس أنا جوايا قلب بيحبك، جوايا خوف من إنك تشوفني بعينيا وتعرف قد ايه أنا كارهاني،

جوايا اتنين .. واحدة بتحاول تبعدك عنها عشان عارفة إنك تستاهل حد أحسن مني بكتير، والتانية متشعبطة فيك مش عايزاك تسيبها ثانية

- وأنا عمري ما هسيبك مهما حصل، حتى لو في بينا مشاكل هنعديها سوا ، بيتهيألي يا ليلى إنتي إللي محتاجة تشوفي نفسك بعيني عشان تعرفي أنا بحبك إزاي .. حتى الحاجات إللي إنتي بتشوفيها وحشة فيكي دي أنا بحبها، أنا ممكن أخسر الدنيا كلها وساعتها مش هحس إني خسرت حاجة، بس هحس إني خسرت الدنيا كلها لو بعدتي عني يا ليلى .

- بجد ؟

- بجد يا حبيبتي .. أنا مش عايزك تخافي طول منا عايش، وجودي جنبك ده من المسلمات كده، ولو حتى حصلت بينا أي حاجة، أنا هعافر عشان ألاقي طريقة نحلها بيها، مش عشان ألاقي طريقة أبعد عنك بيها ..

أنا ماسك فيكي وبحبك أكتر ما أي حد في الدنيا ممكن يكون حب حد، أنا واحد بيدعي ربنا كل يوم إنه زي ما رزقني بيكي في الدنيا يرزقني بيكي في الآخرة،

تفتكري ده واحد يقدر في مرة يفكر بس إنه يبعد عنك ؟

- أنا بحبك أوي يا مروان ..

- وأنا بحبك يا روح قلب مروان .

إنتهت الرقصة لتمسك بذراعه متَّجهين إلى السيارة ليعودا للمنزل، دخلا المنزل .. لتتجه ليلى إلى الحمام وأغلقت الباب عليها قبل أن تنظر في المرآة ..

لأول مرة تشعر ليلى بالإطمئنان، تشعر أن قلبها ينبض بحب هذا الرجل، لأول مرة تشعر أنها أخيرًا تقف على أرض ثابتة بعد أن كانت تدور بها لفترة طويلة، بين حبها القديم لزياد، وشعورها بالذنب ناحية مروان ..

لأول مرة، تستطيع ليلى الآن أن تُجزم أنها تحب مروان، مروان فقط ..

لأول مرة منذ سنين، قررت ليلى أنه حان الوقت لتتخطَّى حبها لزياد ..

نظرت ليلى في المرآة قبل أن تمد يدها خلف رقبتها لتخلع – ولأول مرة – الزمردة الحمراء، آخر شيء كان يربطها بزياد .. فهي ملك لزوجها وحده قلبًا وروحًا ..

خرجت ليلى متجهة إلى حضن زوجها ، والذي تستطيع الآن أن تدعوه بكل راحة .. بيتها .

كانت عقارب الساعة تشير إلى الحادية عشرة مساءا حين سمع زياد صوت جرس الباب، لم يكن من عادته أن ينام مبكرًا .. لكنه اعتذر عن مقابلة شريف مُفضلًا النوم بعد أن كان يشعر بالصداع ينهش في رأسه مانعًا إياه من النهوض، تكرر الرنين على الجرس كمطارق تضرب رأسه بإيقاع هاديء منتظم، ليخرج من غرفته لاعنًا الجرس والصداع وتلك المسكنات التي فشلت في إيقاف ألمه.

وجد زياد الشقة مظلمة تمامًا إلا من ضوء صغير يشع من الصالة على غير العادة، ففي هذا الوقت كان والده يتابع التلفاز يوميًا بصوتٍ عالٍ يمكن للجيران بأول الشارع سماعه .

إتجه زياد لغرفة والده ليجدها فارغة، بحث زياد في جيبه عن هاتفه .. إلا أنه وجده مغلقًا في اللحظة التي تذكر فيها جرس الباب فذهب مسرعًا ليفتح، نظر بالعين السحرية ليجد امرأة تقف أمام المصعد إستعدادًا للنزول .

فتح زياد الباب ليجدها أمامه، التفتت ليلى لتنظر له بدون أن تتحرك ..

- أنا إفتكرت مفيش حد وكنت همشي

سكت زياد للحظات بفعل الصدمة، فهو لم يعتد قدومها إلى بيته، شعر زياد بضرورة أن يتحدث بعد هذا الصمت الطويل، فخرجت كلماته متقطعة :

- اه .. لا .. أنا لوحدي .. كنت نايم.
- طيب معلش صحيتك، أنا أصلًا مكنش المفروض آجي ..
- لا أبدًا إتفضلي .

ترددت ليلى للحظة قبل أن تدخل، فتح زياد النور لتجلس بالصالة، إكتست الحوائط بلون أخضر فاتح يكاد يقترب من الأبيض .. رصَّ أمامه الأثاث بخشب بني اللون .. مع قماش بيج بنفس لون الستائر، أمام الكنبة التي جلست عليها ليلى كانت المكتبة التي إمتلأت بالكتب مع بعض التحف الصغيرة .. و في المنتصف صورة جمعت زياد بوالده و والدته، كانا يجلسان بينما زياد يقف في المنتصف واضعًا ذراعيه على كتفيهما .. مبتسمين بسعادة لم ترَها ليلى على وجه زياد منذ فترة طويلة .

انتشلها زياد من شرودها سائلًا :

- تشربي ايه ؟
- ولا حاجة أنا همشي على طول
- يبقى قهوة .

قالها زياد وهو يلتفت بدون أن يترك لها الفرصة للرد، اتجه زياد إلى المكتبة فاتحًا بابًا صغيرًا بالأسفل ليفتح جهاز تشغيل الأغاني الذي بدأ يشدو في أرجاء البيت بانغام Frank Sinatra .

دخل زياد المطبخ، بينما جلست ليلى تستمع إلى الموسيقى وهي تتجول بعينيها في المكان بشرود، اتجهت للمكتبة لإلقاء نظرة على الكتب، في الصف الأعلى كانت الكتب الدينية، تحتها كانت بعض الكتب ذات الموضوعات العامة...

أما بالصف الأخير فكانت الروايات، والتي رصت بترتيب الكُتاب ..

بين الروايات كان هناك كتابًا بغلاف جلدي لم يكن عليه أي معلومات، انتابها الفضول لتفتحه لتجد الكتاب مليئًا بعبارات كتبها زياد بخط يده مقتبسًا إياها من الروايات والكتب ...

قرأت بعضها ، ثم بدأت تقلب في الصفحات لتجد صورتها، مرسومة بالرصاص بشكل يُشعرك وكان الصورة قد تنطق ..

نظرت لتجد بالصفحة المواجهة لها جملة كتبها زياد بخط زخرفي ..

" تُشيِهينَ الليّلةِ التْي يَمُوتُ فِيهَا الطُغَاةُ وتنْتَصِرُ الثْورة " ..

ابتسمت ليلى حينما رأتها، وازدادت إبتسامتها حينما تذكرت كم أخبرها بأنها وطنه، بأنها ثورته الأولى .

كان دائماً يُشبِّهها بتشبيهات لم تسمعها من قبل، كانت تحب كلماته التي دائمًا ما كانت تُشعِرَهَا بأنها مختلفة .. فهو لم يُلقِ على أسماعها كلمات الغزل التي دائمًا ما كانت تسمعها بالأفلام، كان مختلفًا عن البقية، ذلك العاشق الذي لطالما رأت نفسها جميلة في عينيه كجمال القمر، كاملة الأوصاف كالملائكة، كانت ترى نفسها دائمًا .. ثورته .

قلبت ليلى بين الصفحات لتجد صورًا لهما لصقت على الورق، كان يبتسم بنفس الإبتسامةً الصادقةً كتلك التي على الصورة المعلقة على الحائط، ابتسامة لم تَعُد تراها في عينيه ..

قلبت ليلى الصفحات لتجد صفحة خالية إلا من تاريخ كانت تعرفه جيدًا، يوم أن افترقا، مع عبارة صغيرة ..

" لو كنتي إستنيتي شوية " .

لم تجد ليلى شيئًا بعد تلك الصفحة، مسحت ليلى دمعة فرَّت من عينها قبل أن تُغلق الكتاب واضعة إياه في مكانه، لتقف أمام الصورة ..

حينما أتى زياد ..

- كان نفسي تقابليها
- الله يرحمها، أنا كمان كان نفسي أقابلها
- كانت جميلة أوي، مفيش ست في الدنيا زيها .

ساد الصمت للحظات قبل أن يجلسا على الكنبة، حين أشعل زياد سيجارته ..

- ايه أخبارك ؟
- الحمد لله كويسة .. إنت عامل ايه ؟

- أهو زي مانتي شايفة .. ماشية الدنيا .

إرتشفت ليلى قهوتها لتضم شفتيها عليها :

- حلوة أوي القهوة دي
- هو أنا بعمل حاجة وحشة ؟

قالها زياد و هو يضحك ..

ابتسمت ليلى لتكمل شرب قهوتها في صمت فرض نفسه عليهما، فهي لأول مرة تدخل بيته وللمفارقة فهي لم تدخله إلا حينما تزوَّجت، دارت الأفكار برأسها بسرعة منعتها من الإمساك بأي منها ،

أرادت الرحيل، أرادت أن تخبره كم اشتاقت له، أرادت أن تعاتبه على عدم محاولته للرجوع لها، على عدم منعه لها من الرحيل من الأساس، أن ترتمي بحضنه لتختبئ من الدنيا، أن تضربه، أن تخبره كم تحبه ..

- مالك يا ليلى ؟
- مفيش ..
- الكلام ده تقوليه لحد ما يعرفكيش، مش ليا أنا
- بجد مفيش
- يعني عايزة تقنعيني إنك جيتي هنا النهاردة وسرحانة عشان "مفيش"؟

صمتت ليلى، فهي تعرف جيدًا أنها لم تنجح أبدًا في أن تداري مشاعرها أمامه، كانت دائمًا تفرح أنها تبوح أمامه ككتاب مفتوح يقرأ ما فيه بدون أن تحتاج إلى الكلام، فليس كل ما نشعر به يمكن أن يُقال، ولكن يمكن دائمًا ان يُحس ..

- أنا تايهة يا زياد، ما بقيتش عارفة حاجة.

- في مشكلة مع مروان ؟

- بالعكس، مروان كويس أوي معايا ومش محسِّسني بأي مشكلة، دايمًا بيحاول يبسطني .. مع إني باجي عليه كتير

- أمال في ايه ؟

- المشكلة فيَّا أنا يا زياد، أنا إللي ما بقيتش فاهمة حاجة .. عارف لما تبقى ماشي في طريق إنت اخترته عشان شوفته صح وفي نصه بدأت تحس إن ده مش طريقك ؟

إنك غريب عن المكان ؟

، أنا حاسة إني ماشية في طريق مش طريقي ومش ده إللي أنا مرتاحة فيه ، والمشكلة إني لا مني عارفة أكمله للآخر ولا مني عارفة أرجع تاني ..

- عارف ..

- عارف يا زياد، أنا ما بحبش أتوه، ما بكرهش في حياتي قد إني أحس إني خايفة ، بس أنا مرعوبة .

سكت زياد حينما أمسكت ليلى بسجائره لتشعل واحدة لها قبل أن تكمل:

- أنا خايفة أظلم مروان،

بحبه ؟ ما أنكرش .. بس مش الحب إللي يخليني قادرة أكمل، ومش قليل لدرجة إني أبعد، وللأسف في كل الأحوال أنا بظلمه .

- إزاي ؟

- عشان أنا مش مرتاحة، وده بيخليه كل ما يحاول يقرب أنا بهرب .

عارف، مروان نفسه نخلف وأنا إللي دايمًا بقول لأ، على قد مانا نفسي أحس إني أم على قد مانا مش عايزة حاجة تربطني بيه بالشكل ده ..

- أنا شهادتي في الموضوع مجروحة، فمش عارف أقولك ايه

- ما تقولش، أنا مش عايزاك تقول حاجة .. أنا بس محتاجة أحس إن حد فاهمني، مش عايزة أحس إني لوحدي تاني يا زياد .

لما بعدنا أنا كنت زي العيلة الصغيرة إللي مش لاقية أهلها في مكان غريب، كنت خايفة من كل حاجة .. أنا مش عايزة أخاف تاني .

لم تستطع سدود جفونها من الوقوف أمام ذلك التيار من الدموع، مسح زياد دموعها بيده قبل أن يرفع رأسها لينظر في عينيها مباشرة :

- أنا هنا يا ليلى، حتى لو مش مكتوبلنا نكون سوا أنا دايمًا جنبك .

ابتسم لها مطمئنًا بإبتسامة أب لإبنته الصغيرة التي ابتسمت إبتسامة صغيرة مع دموعها التي تسيل على خدها، وقف زياد ممسكًا بيدها :

- تسمحيلي بالرقصة دي ؟

نظرت له بشرود قبل أن تبتسم وهي تقف لتمسك بيده .. بينما يده الأخرى كانت تلتف حول خصرها حين بدأت أغنية Killing Me Softly .

كانا يرقصان بهدوء على أنغام الأغنية .. حينما خبَّأت ليلى رأسها بحضنه، بينما هو فقد أفلت يدها ليضعها على رأسها مُحركًا أصابعه بين خصلات شعرها ..

- ما تخافيش، أنا عمري ما هسيبك لوحدك مهما حصل.

- أنا بحبك يا زياد.

رفعت ليلى رأسها لتنظر لعينيه، إحتضنها زياد بقوة وهو ينظر لعينيها حين قرر الاستسلام، لطالما صمد كثيرًا أمام عينيها مانعًا نفسه من اخبارها كم يحبها، كم يعشق تفاصيلها الصغيرة التي لم يجرؤ على نسيانها أبدًا .. كانت تلك هي اللحظة المناسبة لتعلن جيوشه عن استسلامها، ليرفع رايته البيضاء وينحني أمام مشاعره التي لم ينجح الوقت أو بنات حواء مجتمعين في محوها أو حتى إخفائها ..

أمسك زياد برأسها بكلتا يديه، لمس شفتيها بشفتيه قبل أن تتوقف الأرض عن الدوران، خفتت الموسيقى والأضواء خشوعًا لتلك اللحظة، لثمها كما لو أنَّ حياته متوقفة على شفتيها، قبَّلها كعاشق لم يملأ قلبه سواها، بادلته ليلى التقبيل بشغفٍ واضح ودمعة تسيل على خدها حين حملها زياد بين ذراعيه بشفاهٍ لم تنقطع ليضعها على الكنبة، كانت قبلة تبادلا فيها كل ما حاولا أن يداريا حتى عن أنفسهما طوال تلك الفترة.

مع كل لمسة تشعر ليلى بالراحة .. بينما زياد يشعر أنه على قيد الحياة، قَبَّلها زياد بقوة، ضمَّها وكأنه يريد إدخالها بداخل قلبه وحبسها إلى الأبد ..

شعر بالصداع بداخل رأسه يزداد يكاد أن يفتك به حين فتح عينيه، رآها غير واضحة أمامه بسبب الألم، ولكنها بدأت تتلاشى أمامه، بدأت صورتها تختفي بالتدريج وكانها تتحول شبحًا، أغلق زياد عيناه وفتحها مرة أخرى مردِّدًا: " ماتمشيش يا ليلى " ...

ليجد نفسه في غرفته المظلمة، نائمًا منكمشًا على نفسه كجنينٍ في بطن أمه، لم يجد ليلى بجانبه، لم يسمع Frank Sinatra ، لم يتبقَّ له من الحلم سوى إحساسه بالألم، الخوف، وذلك الصداع اللَّعين .

(٨)

- دكتور زياد، إتفضل دكتور مصطفى مستني حضرتك .

قام زياد متجهًا إلى الغرفة الخاصة بالكشف، فتح الباب ليدخل إلى غرفة هادئة إلى حد كبير بأضواء خافتة، واسعة لم يكن فيها إلا مكتب يجلس خلفه الدكتور مبتسمًا .. وأمامه كرسيان فقط .

إتجه زياد مادًّا يده لمصافحة الدكتور الذي قام من كرسيه لتحية زياد قبل أن يجلسا ..

قلب دكتور مصطفى بالأوراق أمامه للحظات قبل أن يُرتّبها أمامه ممسكًا قلمه قبل أن يبدأ :

- إزيك يا دكتور زياد، أُعذرني أنا قديم شوية وما بحبش أستعمل الكومبيوتر كتير، بفضل الورقة والقلم أكتر .. أتمنى ده ما يضايقكش .

- لا خالص، بالعكس أنا برضه زي حضرتك كده .

- بلاش حضرتك دي .. خلينا ناخد راحتنا في الكلام، تسمحلي أقولك زياد من غير دكتور ؟

- أكيد ..

- أنا باين قدامي هنا إنك زميل يعني، ف ده هيوفر علينا كتير، فقولي إنت تحب نبدأ منين ؟

- بصراحة مش عارف، يعني وأنا في الطريق جاي هنا كنت براجع نفسي وكذا مرة أقول هلف وأرجع تاني .

- ليه كده ؟
- عشان أنا ما بحبش أحس إني تعبان،

مش قصة إني رايح لدكتور نفسي أو غيره، بس أنا في العادي ما بحبش أحس إني تعبان أصلًا ..

- بس أعتقد ده مش ضعف، من الشجاعة إنك تواجه نفسك بتعبك، ومن القوة إنك تاخد قرار إنك تواجه مشاكلك وتحاول تحلها .
- يمكن ..
- قولِي يا زياد . إنت علاقتك بأهلك أخبارها ايه ؟
- الحمد لله كويسة
- والدتك أقرب ليك ولا والدك ؟
- والدتي متوفية بقالها ٧ سنين .
- الله يرحمها ..

ساد الصمت للحظات، بينما كان مصطفى يدوِّن ملاحظاته، ثم أكمل :

- كانت علاقتك بيها كويسة ؟
- أيوة .
- أقدر أسألك إتوفِّت إزاي ؟
- فجأة، لا كانت مريضة ولا كانت بتشتكي من حاجة .. يمكن في آخر فترة كانت بتحس بضعف، بس كان ضعف بسبب السن عادي .
- ووالدك ؟ تقدر توصفلي علاقتك بيه ؟
- أبويا أنا بعتبره صاحبي يمكن أكتر ما بعتبره أب .
- طيب لما كنت بتحب تحكي كنت بتروح لمين فيهم ؟

- ولا حد ..
- مش بيفهموك كفاية ؟
- مش بعرف أحكي، أنا أقدر أحكيلك الموقف كويس جدًا بكل تفاصيله، بس دايمًا بتفضل حاجة جوايا مش قادر أوصفها أو أعبر عنها بالكلام ..
- طيب وصحابك ؟
- نفس الكلام .
- طيب لما كنت بتحب تطلع إللي جواك كنت بتعمل إيه ؟
- بكتب ..
- حلو ده .. بتكتب إيه بقى ؟
- شعر، نثر ... وحاولت أكتب كذا قصة قصيرين كده .
- وحاولت تنشر الكتابات دي أو توريها لحد ؟
- لأ، بحتفظ بيهم لنفسي، ما بحبش حد يشوفهم
- طيب ليه مش حابب الناس تشوفهم ؟ مش يمكن تبقى بداية ليك ككاتب ؟
- بصراحة مش مهتم، وما بحبش حد يدخل جوا تفاصيل حياتي، بحب دايمًا أسيب مسافة بيني وبين إللي قدامي، أفضَّل إني أخلي الناس تشوف الجزء إللي أنا أسمحلهم بيه بس .
- إنت ما بتحبش الناس ؟
- مش عارف ، بس يمكن برتاح أكتر وأنا لوحدي ..

- طيب خليني أسألك السؤال بشكل تاني .. هل شايف إن الناس مش أهل للثقة ؟

- جدًا ..

- ليه ؟

- عشان الثقة بتجيب قرب، والقرب بيجيب إحتياج، والاحتياج بيجيب خوف .. وأنا ما بكرهش في حياتي قد إني أحس إني خايف .

- إنت عمرك حسيت إنك محتاج حد ؟

سكت زياد وعقد ذراعيه، قبل أن يجيب .. :

- لأ .

- جسمك أخد وضع دفاع قبل ما تجاوب، تحب تفكر تاني في الإجابة ؟

- مش حابب أتكلم في الموضوع ده ..

- بس أنا حابب إني أسمعك .

سكت زياد مجددًا موجِّهًا نظره إلى الأرض، إنتظر مصطفى قليلًا، ثم قال:

- طيب نبقى نرجع للسؤال ده بعدين، بس عايزك تفكر في إجابته قبل ما نرجعله كويس وحاول لما تفكر في الإجابة تصارح نفسك قبل ما تصارحني، ماشي ؟

- تمام .

- قولتلي بقى إنك بتكتب، شايف نفسك في الشعر أحسن ولا في القصص ؟

- مش عارف أنهي أحسن بصراحة بس يمكن بحب الشعر أكتر

- إشمعنى ؟
- أقصر، أسهل، وبيوصل للي بيسمعوه أسرع
- طب عايزك تفكر كده دقيقة وتقولّي إيه أكتر بيت أو مقطع كتبته وبتحبه .

لم يتطلب الأمر من زياد أكثر من ثواني ليرد :

- " إني هكون على باب الجنة .. مستنيكي
أصل الجنة بكل نعيمها ..
مش ممكن تعمر غير بيكي "
- حلو أوي ده، تسمحلي أدوِّنه عندي ؟
- أكيد ..
- أنا برضه بحب الشعر على فكرة، بس للأسف ما عنديش الموهبة إني اكتب عشان كده بحب أسمعه جدًا وأحتفظ بالأبيات إللي بتعجبني .
- أنا كمان، بس يمكن بحتفظ بالجمل إللي بتعجبني من أي مكان مش بس شعر، يعني أفلام، أغاني، روايات ..
- هو البيت ده من قصيدة أسمها ايه ؟
- " لو كنتي إستنيتي شوية "
- وتفتكر ما إستنيتش ليه ؟

سكت زياد، ولكن لم يمهله مصطفى فرصة التفكير ليباغته بالسؤال ..

- نرجع لسؤالنا إللي فات، أنا ما نسيتوش خد بالك .. وبيتهيألي إجابته بانت من عنوان قصيدتك، بس أقدر أعرف اسمها ؟
- ليلى ..

- حبيت قبلها ؟

شبَّك زياد أصابعه، أخذ نفسًا عميقًا وزفره كأنَّه يخرج معه ما في قلبه من ألم .. وروح، نظر لمصطفى صامتًا بلا رد، الذي بادر بالكلام :

- أوقات ما بنبقاش قادرين نتكلم في مشاكلنا أو مش حابين ندخل للجزء ده جوانا، كل ما نفتحه بنحس إنه بيجيب وجع، يمكن وجع الفراق، يمكن وجع الظنون والأسئلة اللي ما بتخلصش .. بس أنا متأكد إنك كتير بتدخل المكان ده جواك وعلى قد ما بتحس فيه بوجع وشكّ على قد ما بتحس جواه إنك في مكانك ..

أنا عايزك تحاول، أنا عارف إن الكلام صعب، بس صدقني كل حرف هيطلع منك أنا هكون مصدَّقه وفاهمه كويس .

- عرفت قبلها بنات كتير، كنت معجب بيهم ؟ جايز .. بس عمري ما كنت الطرف إللي بيحب أكتر في العلاقة، دايمًا كنت الطرف إللي بيتحب أكتر

- وبعدين ؟

- وبعدين جت هي، جت وخلتني أكسر كل الحاجات إللي عشت ببنيها جوايا يمكن من غير ما أحس، خلتني لأول مرة أحس إني فعلًا قادر أكون بحب واحدة بدون سبب، خلتني أحس إني .. إني عايش .

- إشمعنى هي ؟ كانت حلوة ؟

- كانت في عيني أحلى من كل البنات، يمكن إللي بيشوفوها بيقولولي في أحلى، في أحسن، بس دايمًا كنت بشوفها ..

- كاملة ؟

- جدًا ..

- الموضوع بدأ إزاي ؟

- صدفة .. أنا مقتنع إن كل حاجة حلوة بتبدأ صدفة، إحنا بنعيش طول حياتنا ندوَّر ع إللي عايزينه وبنحبه، وبنحاول نخلي كل الظروف توصلنا ليه .. بس دايمًا الحاجة دي بتجيلك من السكة إللي عمرك ما فكرت تدوَّر فيها، إحنا عمرنا ما بنلاقي إللي بنحبه بس هو دايمًا .. دايمًا بيلاقينا .

- طيب لو قولتلك إفتكر أول مرة قعدت معاها، تقدر تقولي ايه أول وصف ليها ممكن ييجي في دماغك ؟

- مختلفة ..

- إزاي ؟

- مختلفة عشان قدرت تدخل جوايا بدون مجهود ويمكن من غير ما تحاول، عارف لما تحس إن الدنيا كلها وقفت، إن كل الأنوار إللي في الدنيا طفت وفضل نور فوقيها هي بس ؟ كإن الدنيا بتقولك هي دي، إنت أخيرًا وصلت للي إنت عايزه ..

- غيَّرتك ؟

- عيِّشتني ..

- عارف يا زياد، بيقولوا الوقت بيغيَر حاجات كتير جوَّانا، يمكن حاجة عمرك ما حبيتها بالوقت تتعود عليها، ويمكن حاجة عمرك ما تخيلت إنك تعيش من غيرها بقيت تشوفها عادي .. تفتكر الوقت خلاك تحبها أكتر ؟

- الوقت خلاني أتأكد إني مقدرش أعيش من غيرها ..

- كنت بتفتحلها قلبك ولا برضه بتطلع إللي جواك في الكتابة ؟

- أنا عمري ما فتحتلها قلبي، هي دايمًا كانت بتقدر تدخله من غير إستئذان، كانت بتفهمني من غير ما أتكلم، كانت حتى " معلش " منها أحسن عندي ألف مرة من وقفة أي حد جنبي .

والكتابة أنا عمري ما لجأتلها غير لما هي مشيت، أنا قبلها كنت دايمًا بكتم جوايا وبسكت، بس لما مشيت بقيت تايه .. لا أنا قادر أكتم تاني جوايا، ولا قادر أحكي لغيرها ..

- كنت بترتاحلها ؟
- كانت .. بيت .
- تفتكر إنت كنت بالنسبالها كده ؟
- مش عارف
- طيب نرجع للقصيدة، تفتكر هي ليه ما إستنتش شوية ؟
- ده إللي لحد النهاردة مش قادر أفهمه .

إحنا في آخر فترة المشاكل بينا كترت، ما كناش قادرين نفهم بعض زي الأول، بس كنت دايمًا بقول فترة وهتعدي وهنرجع زي زمان ..، بس لما سبنا بعض ما رجعناش زي زمان، أو تقدر تقول ما رجعناش أصلًا ..

- وتفتكر المشاكل دي كانت بسببها ولا بسببك ؟ يعني هل القصيدة دي كانت إعتذار على غلط منك ولا عايزها ما تمشيش حتى لو هي غلطانة ؟

- الاتنين .. عارف، إحنا اول ما سبنا بعض كنت بقول إن الغلط عندها، هي إللي مشيت وما إستحملتنيش .. مع إني ياما إستحملتها .

هديت، ولما فوقت من الغضب إللي جوايا لقيت نفسي بقول منا كمان كنت بغلط وهي إستحملت كتير، بقيت بقول أكيد هي ليها حق تمشي، تهرب ..

وما بين كمية اللوم إللي جوايا ليها وكمية الندم إللي جوايا على غلطاتي، لقيتني بقول لو كنتي إستنيتي شوية، كنت يمكن أتغير، كان يمكن مشاكلنا هتتحل، كان يمكن نلاقي سبب يخلينا نرجع زي زمان .

- يعني لو إفترضنا يا زياد إنها هي إللي غلطانة مش إنت، هتوافق ترجع؟
- من غير ما أتردد لحظة ..
- طب وليه ما حاولتش تكلمها ؟
- لأنه مبقاش ينفع .. هي خلاص عاشت حياتها وكملت من غيري، وبيتهيألي أنا بس إللي لسه واقف في مكاني .
- مين عارف مش يمكن هي كمان مست.....
- هي إتجوزت يا دكتور .

نظر الدكتور إلى عيني زياد قليلًا، قبل أن يسأله :

- أنا شايف في إيدك دبلة ..
- اه مانا خاطب، وفرحي كمان شهر .
- مبروك .. اسمها ايه العروسة ؟
- نور
- طيب وايه عجبك في نور بقى ؟
- نور طيبة وجميلة بنت حلال ، و بتحبني ..
- وإنت ؟ بتحبها ؟
- مش عارف .. اه
- أنا ما بحبش النوعية دي من الأسئلة، بس ممكن تقارن لي بينهم ؟

- بص .. نور بنت من إللي بيقولوا عليهم ما فيهاش غلطة، مشكلتها الوحيدة إنها ..
- مش ليلى ..
- بالظبط .
- كان رد فعلك ايه لما عرفت إنها إتجوزت ؟
- حضرت فرحها .. !

قالها زياد و هو يضحك ..

- تقدر توصفلي حسيت بإيه ساعتها ؟
- مش عارف، بس ده كان أصعب إحساس عدَّى عليا في حياتي ..
- طب لو كنت تقدر تقولها حاجة يوميها كنت هتقولها ايه ؟ هتعاتبها ؟
- هقولها إنها زي القمر ..

سكت مصطفى وهو يدوِّن بعض الملاحظات في الورقة، قبل أن يقوم من مكتبه مُتَّجهًا ناحية زياد ..

- إنت بتحب المزيكا ؟
- جدًا
- طيب تقدر تقولي ايه الأغنية إللي بتفكرك بيها ؟
- The Way You Look Tonight
- إنت بتحب الكلاسيكيات زيي يعني ؟
- و مين ما يحبهاش ؟!

- طيب أنا عايزك تغمض عينك، حاول تفضِّي دماغك خالص من أي أفكار تيجي فيها، تخيل نفسك في أكتر مكان بتحبه أيًا كان، بس خلي المكان يكون فاضي ما فيهوش غيرك، وخليك كده لحد ما أقولك .. ماشي ؟

- حاضر .

أغلق زياد عينيه بعد أن نزل في كرسيه قليلًا مُتَّخذًا وضعًا أكثر راحة، بيما ذهب مصطفى إلى جهاز تشغيل الاسطوانات بحثًا عن الأغنية التي أخبره عنها زياد، مرت دقيقة من الصمت قبل أن تبدأ الأغنية حين ذهب مصطفى إلى زياد ..

- دلوقتي تقدر تفتح عينك .

فتح زياد عينيه لينظر لمصطفى الذي طلب منه الوقوف فيه، قام زياد ليكمل مصطفى :

- عايزك تقف باصص للكرسي، غمض عينك لحظات وحاول تشوفها على الكرسي ده ..، لما تفتح عينك وتشوفها عايزك تكلمها، إعتبر إنها إدتلك الفرصة إنها تسمعك، إقنع عقلك إن المرة دي مفيش أي حاجز يمنعك من الكلام معاها ولا يمنعك تخرج حرف واحد بس من إللي جواك .. تقدر تبدأ من دلوقتي .

أغمض زياد عينيه متخيلًا ليلى، تجلس على الكرسي بفستان أسود مكشوف الكتفين .. وشعرها الموج خلفها .. مع زمردته الحمراء التي تزين عنقها .. بأحمر شفاه بنفس لون الزمردة ..

كانت كما حفظ صورتها في عينيه، ملاك أخطأ طريقه ووصل إلى الأرض ليخطف قلبه، ابتسامتها التي لطالما حفظ ثناياها، شفاهها التي لم ينهل من

رحيقها يومًا، ولن يفعل .. كانت أمامه، تزداد إبتسامته تدعوه للحديث، للبوح بما في قلبه، لإخبارها بكل ما كتمه في قلبه يومًا، وبكل ما دفه في ورق أصم لم يصل إلى عنوانها أبدًا ..

- أنا .. إنتي .. إنتي مشيتي ليه يا ليلى ؟ إحنا كنا نقدر، إللي جوانا كان أكبر من أي مشكلة .. أنا عارف إني ياما غلطت بس .. بس أنا ما غلطتش يا ليلى، إنتي إللي ما إستحملتينيش .. إنتي وعدتيني يا ليلى، وعدتيني إنك هتفضلي ..

بدأت دموع زياد في حفر طريقها على وجنتيه، صوته المرتعش وكأنَّ قلبه ينتفض من الداخل، يصارع ألم طعنات لم يذق مثيلًا لها يومًا ..

- أنا إتغيرت ؟ بس إنتي كمان إتغيرتي .. إنتي إللي كنتي دايمًا عايزة تمشي، ليه تخليني أحس إني ماسك فيكي وإنتي موجودة غصب عنك ؟ ليه تحسسيني إنك مجبرة على وجودك جنبي ؟

أنا .. إنتي سبتيني يا ليلى، والمشكلة إنك سبتيني في نص الطريق، مش فاهم العيب كان منك ولا مني، سبتيني لظنون بتوديني وتجيبني، بتنهش في دماغي وتضربني ألف مرة بسكينة تلمة تجرح ما تموِّتش ..

عارفة، كان نفسي أبقى زيك، كان نفسي قلبي يبقى جامد على فراقك، يبقى قادر يشوف إن عدم وجودك " عادي "، بس إنتي عمرك ما كنتي عادي يا ليلى .. عمرك ما كنتي عادي ..

أنا ما بموتش من غيرك يا ليلى، أنا مت من يوم ما سبتيني، محسوب على الناس عايش بشوية نفس داخل وخارج .. أنا شايف آخرتي فين، عارف طريقي

كويس، عارف إني عمري ما هعرف أحب غيرك مهما شوفت وقابلت، وحتى لو إتجوزت هيفضل قلبي ليكي إنتي لوحدك ..

عارفة، أنا كنت فاكر نفسي هقدر أنساكي، أكرهك وألعن اسمك بعدد كل ثانية عشتها في وجع بسببك ..

بس أنا مسامحك، أنا .. بحبك .

قالها زياد وسكت بعد أن استسلم لدموعه، دموع رجل عشق بحق، حاول زياد لملمة شتات نفسه ليتماسك ولكن خانته عيناه، بدأت صورتها تتلاشى أمامه وعليها نفس الإبتسامة لم تتغير ..

- ممكن كفاية ؟

قالها زياد بصوت مرتعش كرعشة يديه التي لم تتوقف

- إتفضل أقعد يا زياد

استند زياد على الكرسي الذي كانت تجلس عليه ليلى منذ لحظات، جلس ناظرًا للأرض بعيون تحجَّرت بفعل الدموع المحبوسة بداخلها وأنفاس متقطعة كأنفاس شخص يغرق في محيط لا قاع له ..

- شوف يا زياد، إنت طبعًا فاهم إن دي حالة إكتئاب، إكتئابك جاي من إنك لسه متمسك بحاجة إنت عارف إنها بتوجعك، عقلك مصوَّرلك إن هو ده مكانك، مع إنه مش مكانك ولا كان من الأول ..

لم يعقب زياد حين أكمل مصطفى :

- أنا مش هقولك إإنسى وحِب غيرها، هو مش زرار هتدوس عليه هتنسى وتعيش طبيعي، الموضوع كله قرار .. إنت لازم من جواك تقرَّر إنك عايز

تبقى أحسن، إنك عايز تلاقي المكان إللي فعلًا يساعك وتحس فيه إنك مرتاح من غير وجع، من غير أسئلة تعذِّبك بدون سبب ولا إجابات .

ردَّد زياد :

- الموضوع كله قرار ..

- أنا هكتبلك أدوية تمشي عليها بإنتظام، وهستنى أشوفك تاني بعد أسبوع، في الإسبوع ده أنا عايزك تمشي على تمرينات النَفَس إللي مشينا عليها . وعايزك أي فكرة تيجي في دماغك عنها أو عن أي حاجة تكتبهالي في كراسة صغيرة، وتجيبهالي معاك المرة الجاية، وعايزك تفكر إزاي ممكن تبدأ واحدة واحدة تسيب الموضوع ده وتتخلى عنه، أوقات إنك تسيب أحسن بكتير من إنك تفضل ماسك ..

- " أوقات إنك تسيب أحسن بكتير من إنك تفضل ماسك "

- إحنا خلصنا النهاردة، حابب تقول حاجة ؟

- شكرًا، شكرًا إنك سمعت وما حكمتش، إنك ما قولتيليش إني خاين أو قذر، أنا عارف إني كده .. بس أنا تعبت من كتر ما بسمع ده من ناس غيري، خصوصًا وإني كل ما ببص في المراية ما بقدرش أشوف نفسي غير كده ..

قالها زياد وقام متجهًا للباب بدون أن ينتظر الرد من مصطفى، والذي ظل على مكتبه محدقًا بالورقة أمامه ..

" أصل الجنة بكل نعيمها ..

مش ممكن تعمر غير بيكي "

(٩)

- يلا يا عريس بسرعة عشان ما نتأخرش .
- حاضر يا بابا

وقف زياد في غرفته ينظر للمرآة، يضبط وضع ربطة عنقه السوداء التي اختارتها له ليلى يومًا ما ..

ينظر لنفسه في يومه المنشود، يوم أن ينتقل من حياة العزوبية لينتقل إلى بيت جديد وزوجة تعشقه، بيت سيبني فيه أسرة تمنَّى يومًا أن يشاركه فيها امرأة أخرى، امرأة غجرية الملامح أسرت قلبه بسحرهم القديم ..

وقف متأملًا ملامحه في مرآة لم تعرف يومًا الكذب، لم يكن من خصائصها أن تُظهر له ما ينبغي أن يكون، فقط تريه ما هو كائنٌ واقعٌ بحق .. بملامح باهتة وابتسامة حاول جاهدًا أن يتدرب ليجعلها حقيقية ولم ينجح في إخفاء إصفرارها أو كذبها ..

فتح درج أخفى فيه الكثير من الأشياء التي لم يُرِد أخذها لبيته الجديد، فهي تنتمي إلى هنا، إلى حيث سيعود يومًا ما ساهرًا يبكي بجانبها على حلم لم يتحقق، حياة لم يكن له الاختيار في أن يعِشها، آمال قتلها الزمن أمامه وهو مُكبَّل اليدين ... لم يقدر يومًا على إنقاذها من الموت ..

أخرج زجاجة عطر ابتاعتها له .. لم يتبقَّ بها سوى بضع قطرات حافظ عليها ليضعها يوم زفافه من ليلى، ليخبرها أنه احتفظ بها طوال تلك المدة حتى

يضعها في يوم زفافهما، واليوم يضعها، على الأقل ليشعر أنها ترافقه في هذا اليوم؛ ليشعر بوجودها ..

خرج زياد إلى أبيه وإحتضنه حضن طال عن المعتاد .. حضن فاق في حجمه الدنيا، وطالت مشاعره عنان السماء، حضن أب يودِّع ابنه إلى حياة جديدة سيعيشها بعيدًا عنه ... ليترك البيت فارغًا من سواه، وابن يتمنى لو أن يكمل بقية عمره بجوار هذا الرجل الذي لطالما رآه أبًا وسندًا وصديقًا وأمانًا ..

نزلا سويًا إلى السيارة متجهين إلى الفرح، وضع أبيه إسطوانة الأغاني التي جهَّزها خصيصًا لفرح ابنه في السيارة، ليغني و يرقص معها وسط ضحكات ابنه ..

- اوعي يا واد تتجوز وتهيَّص وتنسى أبوك

- يا حاج دانت الخير والبركة، أنساك إزاي بس ؟!

- كلنا بنقول كده يا حبيبي ... وهوب نتجوز ونلاقي عروسة حلوة في البيت، ننسى أبونا و إللي خلفوه

- ده والله أسيب العروسة وآجي أبات عندك كل يوم .

- انت عبيط يابني ؟ عايز الناس تاكل وشِّنا وتقول الواد خايب وبيهرب يبات عند أبوه؟ داري خيبتك بعيد عني، أنا مالي

ضحكا سويًا قبل أن يهديء أبوه من صوت الكاسيت ..

- بص يابني ، أنا عارف أنا ربيتك إزاي .. أنا طول عمري مربِّيك تبقى راجل، والراجل إللي بجد ياخد باله من أهل بيته، يبقى سندهم وراجلهم وبيتهم قبل البيت إللي ساكنين فيه ..

- مش محتاج توصِّيني يا أبو زياد، ابنك طالعلك.

- ابني أحسن راجل في الدنيا، بس أنا هقولك كلمتين إوعى تشيلهم من راسك .

الست يابني لما تحب الراجل ما بتبقاش عايزة منه غير قلب يسمعها قبل ودنه، حضن يساعها لما الدنيا تضيق بيها، كتف تسند عليه وقت ما تحس بضعفها، إيد تطبطب ما تخوِّفش، وضحكة تنوَّر البيت لما تشوفها ..

أنا عارف إنك راجل وهتعمل ده وأكتر وهتبقى أحسن مني، بس .....

- مفيش حد في الدنيا هيبقى أحسن منك يا حاج، إنت سيد الرجالة كلهم.

- ما ينفعش، لو إنت ما طلعتش أحسن مني أبقى فشلت في مهمتي .

أنا عايزك تطلع أحسن مني ومن كل الناس، وإنت لازم تعوز ولادك أحسن منك ومن أي حد .. صون مراتك يابني وشيلها في عينيك، الحاجات الصغيرة إللي بتطلبها هتديك قصادها الدنيا، الكلمتين الحلوين إللي هتقولهوملها هتديك قصادهم عينيها، شيلها وقت ما تقدر هتشيلك وقت ما تعجز، الجواز يابني عامل زي الحصالة، على قد ماهتحوِّش فيه .. على قد ما لما تحتاج هتلاقي جواه ..

يا شيلت جواه دهب شالك، يا شيلت جواه ورق أبيض غرَّقك وسابك لوحدك .

- حاضر يا بابا ..

- يمكن يابني ربنا ما يدينيش العمر أعيش مع ولادك قدّ ما عيشت معاك ..

- بعد الشر عليك يا حاج

- يابني كلنا هنموت، عايزك تربيهم كويس، مش هقولك زي ما ربّيتك ... أنا أكيد غلطت معاك في حاجات كتير، والتربية في زمنك غير زمانهم .. بس هقولك حبهم، إحترمهم مهما كانوا صغيرين، حسِّسهُم بحُبَّك ليهم في كل فرصة قدامك، ولو ما لقيتش إخلق إنت فرصة، ومهما كان بينك وبين أُمهم مشاكل .. دايمًا قدامهم أمهم دي أحسن ست في الدنيا وما فيهاش عيبة .

أمسك زياد بيد أبيه يُقبلِّها، قبل أن يُعقِّب :

- ربنا يديك طولة العمر وتربيهم إنت يا عم الناس

- إتنيل .. أربي مين ؟! أنا لو عرفت أربي أبوهم أساسًا مكانش قال لأبوه يا عم الناس دي

ضحكا ورفع أبوه صوت الموسيقى ليرقصا سويًا قبل أن يصلا إلى الفيلا التي سيقام فيها حفل زفافهما، اختارت نور ذلك المكان ... فهي لم تحب القاعات المُغلقة أبدًا ..

كانت الفيلا بيضاء، تبدو للوهلة الأولى كأحد القصور التي شُيّدت في عصر ملوك الأسرة العلوية، أمامها حمام سباحة تحسبه بحرًا من إتساعه ... تحيط به أرض خضراء تسع المدعوين وأكثر من عشرة أضعافهم .

اختارت نور الزهور البيضاء والوردية لتزيين الطاولات والأرضية، كانت الطاولات فارغة حيث رصت الكراسي أمام المكان الذي سيُقام فيه كتب الكتاب لصفين بينهما ممشى مصفوف بنفس الزهور التي وُضِعَت على الطاولات .

دخل أبيه ببدلته الرمادية الداكنة إلى الفيلا ليطمئن على تجهيزات الطعام، بينما تجوَّل زياد في المكان يتأمله وسط تهنئة بعض المدعوين الذين وصلوا مبكرًا ..

قابل زياد شريف الذي ناداه لجلسة التصوير بين العريس وصديقه في إنتظار العروسة وأصدقائها الذين – وهذا هو المتعارف عليه تقريبًا – لن يصلوا في ميعادهم أبدًا، وكأنَّه عُرفٌ قديم أن تصل العروس متأخرة عن ميعادها ..

- أنا مش مصدق إن زياد هيتجوز أخيرًا
- صدقني يابني ولا أنا
- بص يابني أنا صاحبك وبقولك أهو .. ربنا يكون في عونك
- أنا مش فاهم دونًا عن الناس كلها ما لقيتش غيرك إنت يبقى جنبي يوم الفرح ..!
- إحنا محدش يفرقنا عن بعض أبدًا .. يا عووومري

قالها شريف وهو يحتضنه محاولًا تقبيله وسط مقاومة زياد الذي ظل يدفعه داعيًا أن تكتشف مروة حقيقة ميوله .

في الساعة الخامسة إتصل زياد بنور التي أخبرته أنها خمس دقائق وستصل، وبالطبع فلم تصل قبل الخامسة والنصف ...

وقف زياد أمام المنضدة التي من المفترض أن يجلس خلفها المأذون ويقف شريف خلفها بعيدًا عن صديقات العروسة، بعد أن رمقته مروة بنظرة يكاد يجزم بشعوره ببعض الحروق بعدها ..

بدأت الموسيقى في الظهور حين دخلت نور مع أبيها، وقف كل المدعوين خشوعًا لتلك الفاتنة التي إقتربت بجمالها من " أفروديت " إلهة الجمال عند الإغريق .

كانت بفستانها الأبيض ذو الذيل الطويل، منقوشًا بورود صغيرة وحمَّالات رقيقة على كتفين يضاهي بياضهم بياض فستانها، بينما ذلك التاج على رأسها يجعلها إحدى ملكات قصر باكنجهام ..

أمسكت بورود وردية يتوسطها دائرة صغيرة من الورود البيضاء، مُغلَّفة بورق أبيض ورباطة وردية .

مشت نور متجهة إليه بخطوات رقيقة وإبتسامة جعلتها تضاهي الملائكة جمالاً، بجوار أب حاول جاهدًا أن يحبس دموعه .. فازدادت وجنتاه إحمرارًا ..

مع كل خطوة تخطوها ينبض قلب زياد نبضة يكاد يشعر بها من خلال ضلوعه، ها هو سيصبح عريسًا ، سيعود مع هذا الملاك إلى بيت يجمعهما إلى الأبد .

وقفت نور مع أبيها أمام زياد لتحتضنه وتُقبِّله ليحاول إخفائها بداخله حتى لا تذهب إلى غيره، سلم على زياد مُسلِّمًا إياه يد عروسته التي قبَّل رأسها لتزداد ابتسامتها؛ آذنةً للشمس بان تبدأ في الرحيل، فها هي تلك الحسناء بتلك الإبتسامة تستطيع بدون أدنى شك أن تضيء الأرض مشرقًا ومغربًا بإبتسامتها.

نظر زياد إلى ساعته ليجد أنَّ المأذون تأخَّر، أجلس عروسته على كرسيها على المنضدة مُتَّجهًا بعيدًا عن الموسيقى ليتحدث مع المأذون، توجَّه زياد بعيدًا

ليبدأ بكتابة رقم المأذون على هاتفه قبل أن ينظر خلفه، رأها وسط أصدقائها مبتسمة.

كان يتساءل يوميًا لماذا أصرَّ على الإستمرار في تلك العلاقة ..

أحبها، ولكنه يعلم علم اليقين أنه لم يُخلق لها، قلبه المُشوَّه المفتون بحب غيرها لن يرضى عن وجوده بجوارها وهو يراها امرأة غيرها كل يوم، لن يقبل بقلب ينبض بحب غيرها، محفور عليه صورتها واسمها، سيتزوجها، ستسكن قلبه، ولكنها ستظل مستأجرة له، لن تصبح مالكةً له أبدًا .

ظل ينظر إلى هاتفه طويلًا دون أن يتصل بالمأذون قبل أن يتذكر جلسته مع دكتور مصطفى حين قال له :

" أوقات إنك تسيب أحسن بكتير من إنك تفضل ماسك "

نظر زياد إلى هاتفه نظرة أخيرة، قبل أن يغلقه .. ويتجه إلى سيارته .

(١٠)

ركب زياد سيارته، يقودها بسرعة لم يعتد أن يقود بها طوال حياته ..

يحاول الهرب من ظلم فتاة لا تستحق المعاناة معه، من مصير لن يستطيع أن يتعايش معه، جحيم العيش بين حب مفروض وحب أزلي ينبض به قلبه منذ أن ولدته أمه .

يعرف حجم كارثته، يعرف كم ستُعاني من موقفه، كم ستلعنه في صلواتها لربٍ عادل لا بد أن يقتصُّ لها منه يومًا .. ربٍ عرف معاناته يومًا و لم يهده السبيل، لم يجعل قلبه قويًا على النسيان، لم يجعل عيناه تريان غيرها، عقله في كل إختبار يجد الإجابة في أربع حروف ..

ليلى .

لم يَشُكّ زياد يوماً في رحمة الله و عدله، فالإله لم يخلقنا لنعاني، خلقنا لنعيش الإختبار كلُ على حسب أسئلته، رب يعرف ما تجول به نفسك وما يدور في رأسك التي تدور أسرع من إلكترون جنَّ جنونه حول خليته ..

بالتأكيد سيرحمه، إما بجنة فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، فيها من النعيم، والأنهار، والفاكهة، والنخل، والرمان، والتين، والحور العين ما ينسيه غجريته الضائعة،

أو نارًا يصلاها خالدًا فيها .. تحرق قلبه فتريحه من عذابه الدنيوي الذي لم يتخلص منه مهما حاول .

وصل زياد إلى بيته، لم ينتظر المصعد .. ليجري على السلم بلياقة لم يلحظها فيه منذ سنين، وصل إلى السطح في الطابق الثاني عشر، وقف لا يعرف ما جاء به إلى هذا المكان .. ولكنه ظل واقفًا يتأمر الشمس وهي على أعتاب الرحيل، يتأمل ضوئها وهو يخفت شيئًا فشيئًا .. عاكسًا ضوءًا برتقاليًا حزينًا على شرفات البنايات .

أشعل زياد سيجارة و هو يتأمل الأرض على إتساعها أمامه، أرض لم يجد فيها ما يداوي جرحه، ما يعطيه سببًا حقيقيًا للإحتمال .. أو الحياة .

أخرج زياد هاتفه، كتب عليه رسالة تركها لمَن سيجد الهاتف ويسلمه لأبيه، حفظها في مقدمة الهاتف ليراها مباشرة ...

ثم فتح ألبوم أغانيه الكلاسيكية ليبدأ James Blunt في غناء رائعته Goodbye My Lover ،

مع كل كلمة في الأغنية كان يمر شريط حياته أمام عينيه، حياة لم تحمل بصيصًا من الضوء إلا وأصرَّت ان تطفئه، لم تترك له مساحة من الحرية ليختار مصيره .

و الآن ... ها هو ذا يعلن التمرد على مقدراته، على ما أمرته الحياة بأن يعيشه، أعلن حربه على ما حمله له القدر طوال تسعة وعشرين عامًا، يعلن ضربته القاضية التي ستقتل الملك ولن تترك له فرصة أخرى للنجاة أمام وزيره..

إن كانت الحياة أنهت أحلامه، فسينهي هو الحياة نفسها، الآن فقط .. سيعلن انتصاره .

وقف زياد على حافة السطح .. نافثًا دخان سيجارته في الهواء، ليترك آخر ما تبقَّى له من أثر في الدنيا به، نافثًا معه أحلامًا تبخَّرت في الهواء مثله ..

نظر زياد إلى السماء، مناجيًا أمه في سره أن تتلقَّفه من الأسفل، أن يصطدم بالأرض .. فيصعد فورًا إلى أحضانها التي تفوق السماء إتِّساعًا، سيخبرها بكل شيء، سيعود طفلًا صغيرًا يرتمي بأحضانها .. يشكو بها ممَّا فعلت به الدنيا .. يرجوها أن تشفع له عند إله لم يشعر يومًا أنه يحبه، لم يرَ نفسه إلا إبليسًا طرده الله من رحمته التي وسعت كل شيء .

لم يكفر زياد لحظة .. فإيمانه بالله أقوى من أن يُزعزعه أي شيء، ولكنه يرجو حين يصعد إلى سماء الرب، أن يجد إجابةً لسؤال لم يجد إجابته يومًا على أرض بائسة، لا يريد إلا أن يفهم " كل ده كان ليه ؟ "

سحب زياد آخر أنفاس سيجارته لينفثه في الهواء، فاتحًا ذراعيه على إتساعهما ليحتضن مصيره الذي ولأول مرة يختاره هو بمحض إرادته بدون إجبار.

ألقى زياد بجسده مغمضًا عينيه، مُتَّجهًا إلى أرض يرجو أن تقترب أكثر في كل لحظة ..

غربت شمسه في نفس اللحظة التي ودَّعت فيها الشمس أرضها، شمسٌ ستشرق غدًا بينما شمسه أشرقت في سماء ربه ..

غربت شمسه في نفس اللحظة التي علا فيها صوت هاتفه بأغنية بسؤال أخير جال في خاطره ..

"If I Saw You In Heaven

..Would You Know My Name"

ضرب جرس الباب بيت ليلى، لتجد مندوبًا يحمل طرد لها لم يكن مصحوبًا بأي شيء يدل على صاحبه، دخلت ليلى لغرفتها لتفتحه ..؛ لتجد فيه كتابًا جلديًا بدون أي عناوين أو اسم لكاتب، فتحته لتجد عبارات أُقتُّصت من أفلام وأغانٍ وروايات ..

صورها مع زياد بتاريخ كُتب تحت كل صورة ..

قلَّبت ليلى في الصفحات لتجد جواباتٍ تركها لها زياد ..

" أزميرالدا ..

للمرة الأولى منذ سنوات أشعر برغبة في الإمساك بقلم وأوراق نسيتهم – أو تناسيتهم – لأبدأ بالكتابة، للمرة الأولى أشعر بقلبي ينبض بكلمات وأحاسيس بعد أن كان دوره يقتصر على ضخ الدماء الروتيني لجسم يأبى الحياة من الأساس .

أكتب جوابي هذا وأنا لا أعرف إن كانت ستقع عيناكِ عليه يومًا ما ..

والحقيقة أنني لست مهتمًا إن كنتِ ستقرأينه أم لا، ما يهمني هو كيف لفتاة أن تُثير هذا الكم الهائل من الأفكار بداخلي !

كيف لواحدة من بنات حواء أن تقتحم عقلي رافضة الخروج منه أو محو صورتها من ذاكرتي ؟

الحقيقة أنني أحد هؤلاء الذين يؤمنون بالصدفة، فالترتيبات الرتيبة والمحاولات الجاهدة للوصول إلى السعادة في رأيي لا تُجدي نفعًا بقدر ما يكون نتيجة لصدفة جميلة، لمفاجأة من القدر .. تجعل من سقف توقُّعاتك أرضًا لنتيجتها .

وكان اليوم كله صدفة، وكأنَّ العالم أراد السعادة لشخص كان قد فقد كل أسباب السعادة ..

فمع أنني لا أهوى التجمعات ولا الغرباء إلا أنني ولحسن حظي وافقت على الخروج فقط لأراكِ .

كنتي مختلفة، وكأنَّ الدنيا قد رسمت فوق رأسك هالة معلنة عن وجودك .

لاحظت وجودك منذ خطواتك الأولى في المكان، فقد كان لحضورك قدسية لا يمكن إغفالها .

رأيتك .. وتوقَّف الزمن حينها .. جميلة، إستثنائية، متمردة .. كحورية هربت من الجنة لتسكن الدنيا وتزيدها جمالًا، ضحكتك التي تنير ما بين المشرق والمغرب، وتشعُّ ضوئها في قلبي لتعيد له الحياة .

رقيقة كنسمات هواء لطيفة في ليالي الصيف، كحبات النَّدي وهي تُتوّج أوراق الأشجار كالألماس كل صباح .

كنتِ استجابة لكل صلواتي التي أردت فيها سببًا لأحيا لأجله، وبقدر ما تأخرت الإستجابة، بقدر ما كافأني الرب على صبري بتلك الحسناء الغجرية التي لم أرَ ولن أرَى مثلها .

بقدر ما حاولت إظهار تجاهلي لوجودك، بقدر ما كنت أختلس النظرات لكِ وأنتِ تتحدثين،

لم أكن أبدًا رسَّامًا ناجحًا، ولكنني كنت أرسم كل تفصيلة في ملامحك بداخلي، أحفرها بداخل رأسي حتى لا يمحوها الزمن ولا النسيان ..

دائمًا ما أجد الصدفة بداية مثالية للسعادة على الرغم من أنني فقدت شغفي وقدرتي على الإنتظار منذ سنين، انسانًا يعيش لمجرد أنه مرغم على ذلك، يرى الحياة بلونيها الأبيض والأسود طاغيًا الرمادي على أحداثها ..

حتى جئتِ ..

رأيت حياة كاملة في عينيكي، رأيت الدنيا بألوانك، رأيت شريط حياتي كله أمامي والذي كانت لا بد أن تكون نتيجته أن أصل إليكي .. كنتي نهاية أجمل من أن أتخيلها، كنتي دعاءًا حلمت به ولم ينطقه لساني يومًا، كنتي أنتِ، أنتِ وحدك .. المعنى الأوحد والأجمل للسعادة .. كنتي الحياة .

لم أشعر يومًا بكل تلك المشاعر المتضاربة بقدر ما أشعر بها الآن، ولا أعلم إن كانت ستظل وتبقى أم ستتلاشى بمرور الأيام،

لا أعلم إن كانت تلك المرة الأولى والأخيرة التي سأراكِ فيها .. أم أنَّ القدر قد يرتّب لنا مواعيد أخرى ..

ولكن الأكيد أنني في تلك اللحظة أشعر أنني أريدك، أشعر أن هذا الزاهد بداخلي قد خرج من محرابه باحثًا عنك في الطرقات مصليًا بإسمك، داعيًا ربه أن تكوني حظه من الدنيا ورزقه في الجنة،

أشعر ولأول مرة أنني أريد شخصًا أشاركه عالمي، أريه الدنيا كما أراها .. فيجعلها أجمل، أن أدخلك في قلبي الفارغ فتملكيه وتملأيه، أريدك أنتِ ولا شيء غيرك .

أزميرالدا، نعم أنا لا زلت متعلقًا بأفلام الكارتون، والحقيقة أن معظم الفتيات يتمنون أن يكُنَّ سندريلا الجميلة التي تزوجت الأمير بالنهاية، او بيلا التي روَّضت الوحش وجعلت منه ملاكًا بين يديها ..

ولكن انتِ، كنتي تلك الغجرية الخمرية بدون حتى أن تحاولي، كنتي ساحرة بكل تفاصيلك، وجميلة بدون أن تبذلي مجهودًا لتكوني كذلك .

أنا هذا الإنسان الذي لم يخف يومًا، ربما كان خوفي الوحيد في هذه الدنيا هو أن أشعر بالخوف من الأساس .

ولكن الحقيقة أنني الليلة لأول مرة أشعر بالخوف، فأنا لا أعتبر نفسي أبدًا من المحظوظين، عشت حياتي كلها كأحدب نوتردام، ذلك المسكين الذي عاش أسير برجه طوال حياته .. وحين قررَّ الخروج رآكي وعاد لبرجه تاركًا قلبه بين أصابعك.

الليلة فقط، أخشى أن أكون في هذه القصة أحدب نوتردام وليس الفارس الذي فاز بقلبك ،

ربما لم أكن يومًا فارسًا ولا فتى أحلام لأحد .. ولكنني أرغب أن أكون كذلك في عينيكِ .. أنتِ وحدكِ .

إن أراد القدر أن تكوني لي يومًا ما، فسأنتظر إلى أن نبلغ من العمر ما يجعل شعرنا فضيًا، وأريكي هذا الجواب ..

سأنتظر أن تنتهي من قراءته لأخبرك أنني لا زلت أراكي كما رأيتك أول مرة، لأخبرك أنك كنتي فعلًا غجرية ساحرة لا يقوى الوقت على تبديل جمالك،

لأخبرك أنك كنت وستظلي الأجمل بين كل النساء،

لأخبرك أنكِ أنتِ، أنتِ فقط .. مَن استطاعت أن تملأ قلبي، أن تكون لي .. أزميرالدا . "

إلى الحلوة اللي ساكنة بعيد
بداية القول تلات سلامات
بعتلك كتير جوابات
و كل جواب بأكد فيه هيبقى اخير
لكن ربك ده اصله خبير
وهبلي قلب متعلمش غير حبك
و عقل تملي يختارك بدون تفكير
فانا اسف على جوابات متتعدش
و اسف لو بتقريهم على التأخير
يا بنت الناس
أنا ببعت و انا عارف مفيش فايدة
ولا جواباتي فيها جديد
قرار البعد اتاخد بقاله زمان
وحبك راح بقاله كتير مش راجع
وقلبك داس على الماضي بدون رحمة
وعارف اني في عينيكي مجرد "حد "
لكن ببعت و متعشم الاقي الرد
عارفة ..
اخدت قراري من بدري ابطل شعر
رميت الورقة و الاقلام من الشباك
و قلبي بيصرخ اتجننت ؟

بقى بترمي ضناك ياهبل ؟
رميته بايدك الكافرة في عز البرد ؟
و فكرك يعني لما رميته مشاكلك كلها اتحلت ؟
ياريت كات ايدك اتشلت ..
وفكرك رميه مالشباك ده هيفيدك ؟
دي زي الدم فوريدك
صورتها لسه موشومة على دراعك
إذا نسيتها بكام ورقة
فانا بناديلها في الدقة
٢٠٠ مرة
ومش هنسى
وإذا فاكر خلاص نسيانها صار اسهل و امر بسيط
فانا اسف
لكن عارف .. طلعت عبيط
عارفة..
قبل منك كنت دايما نمرة واحد
والقليب اللي في ضلوعي ياما جرح في البنات
كنت اسيبهم كل ليلة بدون سبب
والظنون تنهش في روحهم بالبطيء
كإن الموت ده كان عينيا شيء عادي
كنت فعلا شخص سادي

كنت بجرحهم و برحل من سكات
واترك الباقي في قلوبهم
يتدبح بالذكريات
ويعيش بيهرب مالوجع
كان قلب عيل غره طيشه فاتخدع
كان فاكر إنه لو جرح
يصبح جدع
لانا كنت غافل
ولا قلبي كان صايبه العمى
بس عمره في يوم ماشاف
انا قلبي اشجع مالبشر
بس شافك ، حن، خاف
يهرب يزيد من خطوته
معرفش انك سكته
وإن اللي يحاول يكتمه
قدام عينيكي أوام يبان
قلب عمره في يوم ماخاف
قدام عينيكي أصبح جبان
يا بنت الناس
أنا عمر عيني ما دمعت
غير يوم ما غيبتي

أنا كنت ماسك فيكي
كالعيل في ايد أمه
بس أنتي سيبتي
غيبتي
وغابت ويا منك كل حاجة
فرحتي وشمسي وأماني
أنا لسه بسمع ضحكتك
وسط الأغاني
جوة كلمة نطقها عمرو
وآهه طالعة بصوت منير
والست لما قالتها مرة
أنا عزة نفسي مانعاني
يا بنت الناس
إذا كنتي شوفتي الحل غيبة
فانا قلبي عمره فيوم ما غاب
رافض أكون في القصة أول حد ساب
متصدقيش لو قالوا عايش بعد منك
وإنك انتي صرتي عادي أو نسية
أنا قلبي حالف إن حبك لو خطية
يبقى أخر حد تاب
خلاصة القول يا بنت الناس

أنا عايش على الأمل اللي مش موجود
ومن يأسي بقول لو كنتي مش ليا
يارب ألمح عينيكي الحلوة في الجنة
وهي الجنة ايه أصلا إذا من غير عينيكي السود ؟
يا بنت الناس
يجوز لو كنا كملنا مكانتش تبقى نهاية أحلى
أكيد المولى كان رايد نلاقي الخير
لكن أنا لسه مستني
و هبعت تاني الف جواب
فانا أسف اذا مليتي من زني
و أسف لو بتهتمي
لو بتقريهم
على التأخير

" ليلى ..

أنا لسه فاكر يوم ما كلمتك وقولتلك أنا ماليش غيرك، يمكن كنتي فاكرة ساعتها إنه كلام بقولهولك عشان بحبك .. بس أنا فعلًا مكنش ليا غيرك .

لما مشيتي، كان حواليا الدنيا كلها .. بس كنت لوحدي .

من يوم ما بعدتي وأنا بسأل نفسي في اليوم ألف مرة إحنا بعدنا ليه ؟ مشاكل ؟ وإيه يعني .. أكيد كان ممكن تتحل، أكيد كان في مليون حل غير الفراق ..

تعبتي ؟

حقك .. أنا نفسي عارف إني صعب، عصبي، محدش في الدنيا ممكن يستحملني وقولتلك ده، ويومها مسكتي إيدي وقولتيلي إنك بتحبيني .. وأنا كنت عايز أتغير، كنت عايز أبقى أحسن عشانك قبل ما يبقى عشاني، كنت محتاجك جنبي تساعديني .. بس إنتي قررتي تمشي .

كل يوم بسأل نفسي ألف ليه، كل يوم بفكر ودايمًا ما بعرفش إذا كان العيب عندك ولا عندي، والمشكلة إنك ما إديتنيش فرصة أتغير ولا إديتيني فرصة إني أرجع .. إنتي مشيتي، وحرفيًا روحي راحت معاكي .

كل يوم بوصل لنفس النتيجة، لو كنتي غلطتي أنا مسامحك، ومش عايزك تتغيري، أنا بس عايزك ترجعي .. ولو أنا غلطان فأوعدك إني هتغير .. بس في الآخر كلها أفكار وعمرها ما هتبقى واقع .

عارفة يا ليلى ..

المشكلة إني من يوم ما عرفتك وأنا ماشي كل الطرق إللي توصَّلني ليكي، بعمل كل حاجة تخليني أقدر أكمل حياتي معاكي .

لما مشيتي ، بقيت واقف في نص الطريق ... لا أنا قادر أرجع وأكمل حياتي زيك ولا مسموح لي أكمل طريقنا وأحاول تاني .

مش قادر أصدق لحد دلوقتي إنك خلاص بقيتي لحد تاني، حد غيري بيحبك، بيخاف عليكي، بتجري عليه وإنتي متضايقة وترتاحي في حضنه،

مجرد فكرة إن حد غيري هيكون أب لولادك بتقتلني، عامل زي المربوط إللي عمَّال يتضرب، لا الضرب بيقلّ عليه ولا هو قادر يدافع عن نفسه .

كل مرة كنت ببص لنور كنت بشوفك، كنت بفتكر كل حاجة عيشناها سوا، نور بنت جميلة وطيبة وبتحبني .. بس مش انتي .

عارفة .. أنا عمري ما أخدت نور الأماكن إللي خرجنا فيها سوا، عمري ما سمَّعتها الأغاني إللي كنا بنسمعها، عمري ما كتبت عنها، كل حاجة حسيتها معاكي وعدت نفسي إني ما أحسهاش مع حد غيرك، كل تفصيلة بيننا كان لازم تفضل خاصة بيكي إنتي لوحدك .

كنتي عاملة زي بيت العيلة إللي تروحه لوحدك وتقعد في أوضتك تفتكر تفاصيل حياتك فيه عشان ترتاح .. وتمشي . تمشي تكمل حياتك وسط عالم مش بتاعك، وسط ناس مش ناسك، وسط ظروف إنت مُجبر تعيشها وتتكيّف عليها .

بقيت دكتور يا ليلى ... بس عمري ما حسيت إني ناجح، عمري ما كنت فخور ب ده، أنا عمري ما حسيت إني ناجح وفخور بنجاحي بحاجة زي ما كنت بقول حاجة تضحَكك، لما كنت أشوفك متضايقة ونخرج نتفسح لحد ما تروحي وإنتي مبسوطة وناسية هَمّ الدنيا، لما كنت أفهمك من عينيكي من غير ما نتكلم، لما كنت أعاملك على إنك بنتي الصغيرة وأحس إنك متحامية فيَّا كأني باباكي ..

إنتي كبرتي يا ليلى، كبرتي في أفكارك، في أحلامك، بس ما كبرتيش في عيني ..

تفتكري دي كانت المشكلة ؟

مش عارف ... ده السؤال الوحيد إللي عمري ما وصلت لإجابته .

النهاردة كان المفروض يكون فرحي، بس لو إنتي قدرتي تقفي في الفرح مع راجل غيري أنا ما قدرتش أشوف غيرك جنبي، لما بصيتلها مقدرتش أشوف حياتي الجاية معاها، ما شوفتش نفسي في عينيها يا ليلى .. أنا عمري ما شوفت نفسي غير في عينيكي .

عارف إني ظلمتها وأتمنى ربنا يعوَّضها بإللي أحسن مني، هي فعلًا تستاهل حد أحسن مني، تستاهل واحد كامل قلبه معاها هي .. مش مع واحدة تانية،

تستاهل واحد مشاعره مش مُشوَّهة، تستاهل واحد يحبها زي ما هي، واحد يحبها زي مانا حبيتك .

وجودي في الدنيا ما بقاش ليه لزوم؛ لأنه أصلاً مفيش حياة من غيرك .. انتي كنتي الحياة كلها .

ربنا رحيم، وعارف إني لما أقابله أكيد عارف إللي جوايا وهيحاسبني على أساسه، بس وجودي هنا في الدنيا وأنا عارف إني عمري ما هكون ليكي عمري ما قدرت ولا هقدر أعيش بيه .

يجوز لما أموت روحي ترجع تاني مع شخص تاني غيري، بس ساعتها هعيش حياتي كلها بدوَّر عليكي، وقتها أوعدك إني يوم ما ألاقيكي هحافظ عليكي، هبقى أحسن، مش هكون سبب إنك في يوم من الأيام تقرري تمشي .

سامحيني يا ليلى،

يمكن ده مش القرار الصح .. بس أنا أضعف بكتير أوي من غيرك، ما قدرتش أواجه الدنيا من غيرك، وبقيت بدعي إني حتى لو هكون في النار ألمح عينيكي مرة أخيرة قبلها .

سامحيني يا ليلى ...

بس أنا عمري ما بطَّلت أحبك ..

هتوحشيني "

قلبت ليلى الصفحات لتجد ورقة أخيرة، لم تكن مملوءة كاللاتي سبقنها، فقد كتب فيها بخط صغير ..

"ولو نسيانك الجنة ..

هعيش مشتاق ..

وأموت مشتاق"